رواية

فتاة الغاب

بقلم

يوسف شديد ابي اللمع

طبعت في مطبعة جريدة الهدى اليومية بنيويرك

سنة ١٩٠٥

AL-HODA PUBLISHING HOUSE

90 WEST STREET. --- NEW YORK. 1905

رواية

فتاة الغاب

تأليف

يوسف شديد ابي اللمع



طبعت بمطبعة جريدة الهدى اليومية بنيويرك

سنة ١٩٠٤

AL-HODA PUBLISHING HOUSE

90 West St. New York

1904

تقدمة الكتاب

لو اتبعت خطة الكتاب المتخلفين في سورية لكان يجب ان أقدّم كتابي الى احد اصحاب المناصب العاليـة او ماموري الحكومة تزلفاً وتمليقاً • او لو اتبعت خطة الفريق الاكبر من الكتاب المهاجرين لوجب ان اقدّم الكتـاب الى غني او تاجر استدراراً لبعض الريالات • واذ كنت بغنى عن هذا وذاك فانا أرفع كتـابي هدية اخلاص وولاء الى كل اديب في كل صقع غير طامع من الجزاء بسوى اعتقادهم انه حريّ بمطالعتهم

يوسف شديد

ابي اللمع



رواية

فتاة الغاب

ــ﴿ الفصل الاول ﴾ــ

(نجاة من الخطر)

على سفح الجبل الواقعة عليه مدينة مونت كلار الجميلة احدى مدن ولاية نيوجرسي بيت جميل البنيان متين الجدران تتصل به طريق مفروشة ارضها بالازهار والرياحين وتحيط به الجنات الحسان والازهار المتنوعة الاشكال والالوان وتتدفق الينابيع العديدة حوله من كل مكان وتتشعب في تلك الجنان والى الجهة الشرقية من ذلك القصر بركة كبيرة تتدفق المياه في جوانبها من افواه أُسود متمددة من الرخام الناصع البياض هناك كانت جالسة فتاة في زهرة الصبا في سن العشرين رشيقة القد بارزة النهد يكلل وجهها الوضاح شعر كأنه قدّ من قلب الليل يتدلى الى ما بين قدميها طالباً منها المغفرة عما اصطاد من قلوب الناس وحاجبان اسودان كأنهما سيفان اقاما على حراسة تينك العينين البراقتين فكانت الفتاة كأنها

ما كوّن الله خلقاً قبلها حسناً
ولا جميلاً سوى من خلقها اكتسبا

كانها خلقت حتى تكون على

قلوب اهل الهوى سلطانة عجبا

وكان الوقت ليلاً والجو رائقاً والفلك صافياً والكواكب ترصع قبة السماء والقمر في وسطهن بدر يضيء على تلك الهضاب وتنطبع صورته فوق صحن الماء فتتكسر اشعته على تموجات الماء الخفيفة والنسيم يهب بليلا فيشفي عليلا ويسمع له بين اغصان الاشجار حفيف ينعش الفؤاد ويطرب حتى الجماد وخرير الماء الجاري يقلق راحة ذلك الليل الهادىء وروائح الازهار تنبعث فتعطر الفضاء

وكان الليل قد طوى شطره الاول وساعة محطة السكة الحديدية قد دقت الثانية عشرة حينئذٍ ظهر بين الاشجار شبح يتقدم الى الامام وهو يحاذر في مشيه ان يبصر به احد او ان يسمع له حركة وما زال يتقدم الى ان وقف امام الفتاة فاجفلت اولاً على انها ما كادت تبصر وجهه على ضوء القمر حتى ابتسمت له عن صفي لؤلؤ منضود وتصاعد الدم الى وجهها وقد

كتب الحيا خطاً على وجناتها

بالعندمي قرأت معناه الخفي

وتواصلت الحاظها فتقطعت

في القلب اعشار فقلت لها اكتفي

قتلي حرام فاقضي نصحي فما

بيني وبينك هول يوم الموقف

وبقلب قد كواه الغرام ولسان ارجفته عوامل الهيام

قالت له

— مالي اراك قد تاخرت في الحضور هذا المساء حتى كاد يفرغ مني الصبر ؟

لانني رأيت نافذة غرفة والدك التي ترمي على الحديقة مفتوحة والنور خارجاً منها فتربصت ما بين الاغصان مخافة ان يبصرني احد وما زلت كذلك الى ان انحجب الضوء

— حقاً ان من كان قاسي القلب مثل والدي يجب ان يحاذر

لا توجهي الى والدك هذه التهمة فان منعه اياك عني ليس الا ضرباً من الحكمة فانت تعلمين ان الفرق الذي بيننا في الشرف ليس باقل من البون الذي يبعدنا في الغنى وما انا الا رجل تعيس قد قادته التقادير لان يكون لغرامك اسيرًا دون ان يرجو اليك وصولاً ولا يجد للخلاص من هذا الاسر سبيلاً

— مالي اراك قد انقلبت بك الافكار وقد كنت لا تراعي قبل الان هذه الاوهام فما الشرف الا عزة النفس وما كرامة المحتد الا طيب الخلال وقد اخطأ كل من زعم

خلاف ذلك اذ قد يكون الرجل متحدرًا من اسرة لزمها الشرف مئات من السنين ولا يكون هو بعمله شريفًا

— نعم هي الحقيقة ولكن...

— ولكن ماذا

— ولكن والدك لا تنطبع بعقله هذه الافكار وانا اعتقد انه لو درى بغرامنا لسعى في الحال الى ما فيه هلاكي قبل ان يرضى بان اكون له صهرًا ولك بعلاً ولو كانت تصوراتي تقف عند هذا الحد لما كنت احاذر الكتمان اذ لا يهمني قصرت الحياة ام طالت فذلك عندي سيان على انني اخاف ان يثور به الغضب الى الحاق الاذية بك وهذا كل ما اخشاه

— دعنا الان من هذا الحديث الذي لا يفيد شيئًا ولنصبر فما بعد الصبر الا الفرج

— بالله عليك يا فلورات لا تزيدي على قلبي الاحزان فانني قد خلقت لاكون تعيساً ومن العبث ان احارب الزمان

— مالي اراك قد استسلمت الى القنوط وصرت ترغب في الموت وانت تعلم ان حياتك هي لي من بعد الله فان كنت قد نكثت عهدك فواخيبة الامل والا فأبقِ على هذه المهجة التي هي لي دون خلق الله واعلم بانني لا اخون لك عهدًا ولا اخلف معك وعدا ما دمت في قيد الحياة

— فدتك المهجة يا مليكة القلب فانني ساحافظ على الحياة

لانها لك واحتمل الصعاب لعلَّ فيها طريقاً للوصول اليك

ــ لا تكن قنوطاً اذًا واعلم بان الوقت ثمين لان الساعة قد قاربت الواحدة بعد نصف الليل وانا اخشى ان يدري والدي بوجودي في مثل هذه الساعة من الليل في هذا المكان فاستودعك الله الى الملتقى

كان ابو فلورات تاجرًا شهيرًا ومتمولاً كبيرًا وكان شديد الولع بامرأته مرغريت وابنته الوحيدة فلورات الا ان اشغاله الواسعة كانت تقضي عليه بالتغيب اكثر الاحيان عن منزله ولذلك كانت مرغريت وبنتها على الغالب منفردتين عن الناس تقضيان معظم الاوقات في التنزه تارة معتليتين صهوات الخيل الجياد وطورًا تجري بهما العربات الكهربائية تحسبها افاعي تلتف في منعطف ذلك الوادي وكأنما قد فتحت لهما ابواب السعادة ورخاء العيش على غير طلب

وكان المستر هورد رب تلك العائلة لا يبخل بالمال يصرفه جزيلاً في سبيل ارضاء عائلته ومرغريت تظهر من الحنو والانعطاف نحو بنتها ما يكاد لا يصدق على ان كل هذه الاشياء لم تكن كافية لتخفي عن وجه فلورات هيئة الهمّ والافتكار حتى حار والداها في سرّ هذا الامر وقلقت لنحوها افكارهما

وكانت الايام تمر سراعاً والاشهر تنطوي تباعاً وفلورات تنتهز الفرص للاجتماع بحبيبها ادمون وهي مرتدية من العفاف

ثوباً قشيباً وحبه ينمو في قلبها فيزيد جسمها نحولاً وهمومه تقلق افكارها فتزيد في نضارتها ذبولاً الى ان بزغت شمس يوم من ايام ايار الجميلة من خلال الافق وارسلت حبالها على تلك الوهاد والنجاد فتلونت باشعتها نقط الندى المتجمع فوق الازهار والرياحين وتطايرت الاطيار من اعشاشها تغرد على الاشجار فتفتحت لسماعها اذان الازهار وترنحت لها قامات الاغصان وكانت فلورات قد خرجت منفردة في ذلك النهار وهي ممتطية صهوة جواد ادهم ينهب الارض تحتها نهباً وكأنه قد شعر بما يحمل على ظهره من الظرف والجمال فزاده ذلك عجباً واختيالاً . وكانت الرياحين تنحني امامها اجلالاً وتحمرّ وجنة الورد ويسودّ فوءاد الاقحوان ويرمقها النرجس بعينه الدعجاء ويصفرّ البيلسان وما زالت سائرة على تلك الحالة وهي على جوادها الادهم

وكأنها من فوقه ملك ومن زهر الربيع تسير بين مواكب

الى ان اشرفت على بقعة من الارض تكتنفها الاشجار من جميع الجهات وتجري في وسطها عين ماء كاللجين تترقرق كأنها وجدت لتكملة ما جملته الطبيعة من الجمال في ذلك المنظر الساحر

والافق يبسم والطيور صوادحٌ والماء يجري والغصون تميلُ

فترجلت عن جوادها وربطت زمامه الى جذع شجرة

كبيرة واتخذت لها من زهر الربيع فراشاً ومن ورق الاشجار التي كانت تحجب عنها القبة الزرقاء بقبة خضراء غطاء وكان السهل الواسع ينبسط امامها كأنه قطعة من المخمل قد طرزته يد الطبيعة بطراز بديع الالوان وفي وسطه مدينة مونت كلار الجميلة تختال ببناياتها البديعة فتزيد موقعها جمالاً ولسان حالها يقول رب زدني كمالاً .

وكأنما النسيم البليل والهواء العليل وحفيف الاشجار وروائح الازهار وخرير الماء يقابله صدى صادحات الاطيار — كأن جميع ذلك قد اهاج في صدرها الشوق الى حبيبها ادمون فاطبقت جفنيها الجميلين حتى لا ترى الا مرأى وجهه الوضاح وما زالت كذلك الى ان تغلب عليها النعاس فانقادت خاضعة لاحكامه .

وكانت سلطانة النهار قد اصابت بسيرها كبد السماء وارسلت اشعتها تشق عباب الفضاء فتحرق الغبراء فتسارعت الحشرات من جوف الارض تطلب لها ما بين الخمائل والادغال ملجأ تتقي به شدة الحر ووطأة الرمضاء وكان في جملة ما دفعته الارض من جوفها افعى كبيرة كانت قد اتخذت لها منذ مئات السنين بقرب ذلك النبع مقيلاً هنه كان قد لفحها الحر بشدته فخرجت من حجرها تتطلب لها ملجأ الى جنب الماء وما زالت تنساب ما بين تلك الغياض الى ان وصلت الى الشجرة التي كانت فلورات

مستظلة بظلها فتسلقتها الى الوسط وهناك اعتمدت احدى جذوعها فالتفت عليه ودلت راسها مصوبا نحو صدر الفتاة ·

. . . .

خرج ادمون من بيته باكرًا يطلب له بقرب منزل فلورات موقفًا يتمكن به من التيمن بطلعة وجهها الوضاح فابصر بها خارجة من حديقة القصر تختال على متن جوادها الادهم فتبع خطوات الجواد عن بعد الى ان راى حبيبته ترجلت بقرب ذاك النبع فوقف مدة هناك يوءخره الحياء عن الدنوّ اليها على غير علم منها خطوة ويقربه الشوق خطوات وما زال كذلك وهو يوءخر رجلاً ويقدم اخرى الى ان صار على مقربةٍ منها فوقف هناك مبهوتًا محدقًا بنظره في تلك التي كانت قد امتلكت بجمالها الفتان فوءاده واضاعت بلطفها وظرفها لبه ورشاده وفيما هو على ذلك واذ قد ابصر تلك الافعى المائلة تتسلق جذع الشجرة فجمد الدم باردًا في عروقه وألهاه الخوف على فلورات عن التفكر بانقاذها من ذاك الخطر العظيم غير ان ذاك الخوف لم يمرّ في مخيلته الا كلمح البرق اذ تحقق ان الخطر واقع لا محالة وان رأس الحية مصوب نحو صدر الفتاة·

فاول ما تبادر الى ذهنه هو ان ينتشل فلورات من تحت الشجرة حتى اذا ما استأمن على حياتها يعود الى قتل الافعى·

وعلى هذا تقدم بقدم ثابتة وفوءاد لا يعرف الخوف وحمل

الفتاة التي ذعرت مذ رأت نفسها بين يديه دون ان تعلم لذلك سبباً وما زال يجري بها سريعاً الى ان بعد عن ذاك المكان حينئذٍ القاها على الارض وعاد مسرعاً نحو الشجرة التي عليها الافعى . اما الفتاة فبهتت مدهوشة لجهلها السبب الذي دعا الى ذلك ثم ما لبثت ان تبعت خطوات ادمون علها تستطلع سر هذا الامر واذا بها قد ابصرته وهو يقلب مسدسه بين يديه متفقداً خزينته ليعلم اذا كان فيه موضع فراغ فخافت فلورات ان يكون الشاب قد قصد لنفسه ضراً فصرخت قائلة

ادمون . ادمون . ان حياتك لي دون خلق الله فأبقِ عليها واياك ان تلحق بنفسك اذى والا فتكون قد خنت العهد ونكثت الود . على انها ما كادت تتم هذا الكلام حتى كان الرصاص قد دوى في اذنيها فهلع فؤادها وامتقع لون وجهها وكادت تسقط الى الارض مغشياً عليها الا انه لم يكن كلمح البرق حتى انكشف الدخان عن جثة الافعى تتساقط عن جذع الشجرة فادركت فلورات حينئذٍ الخطر الذي كان محدقاً بها وتقدمت والدمع يهطل مدراراً من عينيها الجميلتين نحو حبيبها ادمون والقت بنفسها بين ذراعيه فضمها الى صدره وهو يكاد لا يصدق ما يرى مما لم يكن يحلم به .

وبعد سكوت تكلمت فيه القلوب فاغنت بخفقانها عن فصاحة اللسان وتبودلت اللحظات فعوضت بتكسرها عن

الاشارة والبيان اخذ ادمون حبيبته من يدها الى قرب الماء وهناك في ظل الاشجار الفضة جلس الحبيبان وقد كانا

وتبادل اللحظات بين كليهما
يصلي الفوءاد بزفرة ولهيبِ
والطهر يشملُ والعفاف مطوقٌ
بدرين قد امنا لحاظَ رقيبِ
فكلاهما لطفٌ والطف منهما
قولُ الحبيبة للحبيب حبيبي

وبعد ان جلسا مدة في ذلك المكان يفحصان عما في قلبيهما من عوامل الوجد وروابط الغرام رأت فلورات ان الساعة التي يجب عليها ان تقدم ادمون بها الى والديها قد حانت وان هذه الحادثة لهي اكبر وسيلة لذلك وان تلك الحية اللساعة التي كادت تودي بحياتها لم تكن الا رسول سلام بين ذينيك الفوءادين·

وعلى هذا طلبت الى ادمون ان يرافقها الى بيت ابيها لتقدمه اولاً الى والدتها كمنقذٍ لحياتها مبينة فوق ذلك ما استطاعت الى البيان سبيلاً عما يخالج فؤادها من الحب له وراجية بذات الوقت من تلك الوالدة ان تكون واسطة عقد المعرفة بين ادمون ووالدها · اما الشاب فكان على غير مذهبها من هذا القبيل لان قلة ذات يده وخمول ذكره بين

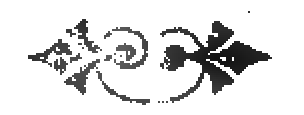
الطبقة العليا من القوم كانا يقفان حاجزين منيعين دونه ودون خاطر والدي فلورات ولانهما سوف لا يجدان في هذا الحادث ما يوجب عليهما ان يسمحا لبنتهما بمعاشرته طالما يقدران ببعض المال ان يقوما بواجبات العرفان نحو منقذها٠

وهكذا بعد ان تعاهدا وتواثقا على الثبات في هذا الحب الشريف ضم ادمون يدي حبيبته الى صدره وجثا الاثنان رافعين اعينهما نحو العلاء واقسما يميناً معظمةً على انهما لا يخونان بعضهما وعلى ان يبقيا على وعودهما وعهودهما كيفما تقلبت الظروف وتشكلت الاحوال٠وعلى هذا عادت فلورات وقد استصحبت معها جثة الافعى المقتولة لتجعلها امام والديها شفيعا يشفع لها بحبيبها ادمون٠

اما هو فبعد ان شيعها بنظره الى ان توارت عن العيان وزودها فؤاده يسير بين يديها في كل مكان عاد الى مقره بقرب النبع وهو

يعلل النفس بالامال يرقبها

ما اضيق العيش لولا فسحة الامل



الفصل الثاني

لم يكن تمنع ادمون عن اجابة طلب حبيبته سبباً لاخفاء ذلك الحادث عن والديها فاذا لم تكد تصل الى فناء الدار الخارجية من القصر حتى اسرعت بالترجل عن جوادها وصعدت مسرعة الى غرفة والدتها تجرّ الافعى وراءها فاجفلت الوالدة لدى هذا المشهد وطلبت الى فلورات ان تطرح الافعى خارجاً اما هي فبعد ان سكنت روع والدتها جلست تقص عليها ما جرى لها مع منقذ حياتها وعما فعله في ذاك الصباح مبينة لها في ذات الوقت عن شدة تعلقها به وميلها اليه ·

فدهشت مرغريت لدى سماع ذلك منها وتعجبت كيف انها كانت تكتم مثل هذا الخبر عنها وعرفت سر ذبولها ونحولها وطلبت اليها بالحاح ان تفيدها عن اسم هذا الشاب وعن حسبه ونسبه ومركزه من الهيئة الاجتماعية وكيف تعرفت به واي متى كان ذلك فقالت فلورات·

ان كل ما اعلمه يا اماه من امر هذا الشاب هو ان اسمه ادمون وانه غريب عن هذه الديار على انه يحسن التكلم باللغة الانكليزية وله ادب كثير وذكاء وافر ·

— ولكنك قلت انك لا تعرفين الا اسمه فقط وانك تجهلين اسم والديه اليس كذلك ·

— نعم ·

— حسن افلا تظنين ان ذلك ما يوجب عليك عدم الاهتمام به وفوق هذا افلا تعلمين بانك لا تزالين تحت سن الادراك وانه لا يجب عليك ان تعاشري احداً بدون معرفتي ومعرفة والدك فماذا ترين والدك يقول حين معرفة مثل هذا الامر • فان كان هذا الشاب على ما تقولين قد انقذ حياتك من الخطر وهو غريب وربما كان وضيع النسب قليل المال افلا تظنين ان جائزة مالية تقدر ان ندفعها اليه عن طيبة خاطر ربما يقدرها اكثر من كل شيء ويقبلها بسرور ولا يكون قد نجاك من خطر لتوقعك نحن باخر •

— ولكن من اين تعلمين انه يقبل مالك وهو قد رفض الحضور معي الى هنا خوفاً من الحاحك عليه بذلك فان كنت انا اجهل حقيقة حاله فلا يجب ان يكون واسطة لاحتقاره لانه ليس مخطئاً بهذا ولا يجب ان يقاص بخطأ غيره ومع ذلك فانك لو نظرتِ الى وجهه لظهرت لك دلائل الشرف والشهامة وعزة النفس فيه سريعاً او لو سمعت كلامه لتاكدت ان في كتمانه امر نفسه سرًّا سوف تنقشع غيومه فيظهر اذ ذاك انه على غير ما تعتقدين •

— حقاً لقد اقلقت افكاري بحديثك عن هذا الشاب الغريب ولكنك لم تخبريني كيف تعرفت به ولا متى كان ذلك مع كوني قد سألتك عن هذا الامر ولذا فتريني استغرب كل حديث عنه

ـــ لا شيء يوجب استغرابك لان معرفتي به كانت على سبيل الصدفة واما الان فقــد اصبحت متينة وأوكد بانك لو نظرته او سمعته يتكلم لغبطتني على هذه المعرفة فان اول مقابلتي له كانت منذ نحو العشرة اشهر بينما كنت في احد ايام آب الحارة انزه النفس في الحرج الذي بقربنا والشمس قد تمايلت الى الغروب فابصرت به جالساً بقرب الينبوع وفي يده ورقــة يرسم عليها ذاك المنظر البهج فسحرت لمهارة يده ووقفت فوق رأسه اسرح نظري في تلك الصورة البديعة الصنع التي كانت ترسمها انامله اللطيفة وقد حبست انفاسي حتى لا يشعر بي الى ان حانت منه التفاتة فرآني ورآءه مطرقة في الرسم الذي امامه فنهض وحياني تحية لطيفة فقلت له

اظنني ازعجتك بوجودي في مثل هذا الموقف

قال. كلا فانني سعيد جدًا بالتفــاتك الى رسمي واكون اسعد فيما لو سمحت لي برسمك بين هذه الغياض حتى نستعيض عن بهاء الشمس الافلة الآن بنور وجهك الوضاح.

قلت اراك تقدرني اكثر مما يجب

قال. كلا هي الحقيقة وابتدأ ان يرسمني بين تلك الغياض والازهار وقد جاء الرسم مطابقاً لهيئتي كل المطابقة.

ـــ واين هو هذا الرسم. قالت الوالدة.

ـــ قد اخذه

— وكيف تسمحين لشاب مثله ان يأخذ رسمك · قالت ذلك وظهرت على وجهها دلائل الكدر·

— لانني لم اقدر اقاومه ولم اعرف كيف اجيب على كلامه حينما سألني بكل لطف ان ابقي الرسم معه·

— ولكن بعد كل هذا الحديث فلندع الماضي· انما انا اطلب اليك يا فلورات ان لا تعاشري هذا الشاب فيما بعد بدون ارادتي ولو كان قد خلصك من هذه الافعى المائلة فانني مستعدة لان اكافئه على ذلك بما اراد شرط ان لا يكون في مكافأتي له ما يمس ادبك ويحط من كرامتك بمعاشرتك شاباً لا تعلمين من اموره شيئاً· ·

— يعز عليَّ جدًّا مخالفة ارادتك يا والدتي الكريمة ويصعب عليَّ ايضاً ترك ادمون ولهذا فانا اطلب اليه منذ الغد ان يهتم قبل كل شيء بان يكشف لي الاسرار عن حياته التي اعتقد واؤكد بانها مملوءة شرفاً وشهامة ·

— ان صحَّ ما تقولين فانا اسمح بوقوع هذا الحب اذ ان من احب الامور الى قلبي ان اراك سعيدة لانك انت وحيدتي المحبوبة· قالت هذا وصرفت فلورات على هذا الامل

. . . .

لم تكد اشعة شمس اليوم الثاني تتدلى من الافق فوق تلك الوهاد والنجاد حتى خرجت فلورات من باب القصر متخذة

الطريق المؤدية الى الينبوع على امل ان ترى هنالك حبيبها ادمون فتبث اليه شوقها وتطلعه على حديث والدتها . وكان ادمون من الجهة الاخرى ينتظر على احرّ من الجمر مرور الليل الموحش ليحظى بعد تبدد ظلمته برؤية مالكة لبه وسالبة قلبه وبهاء نهاره فما طلع الفجر حتى كان قد خرج من مقره بقرب القصر الى قرب ذلك الينبوع الذي كانا قد اتفقا على الاجتماع عنده صبيحة كل يوم.

فبعد ان التقى الحبيبان وبث كل منهما ما عنده من لواعج الوجد والهيام جلسا تحت الشجرة التي كانت قد رقدت فلورات في ظلها صباح اليوم الفائت واخذت تقص عليه حديث والدتها وكيف انها لا تسمح لها بمعاشرته الا اذا اوقفها على سرّ حياته وكشف لها الغامض منها وسعى على مركز يؤهله لطلب يدها.

فاضطرب ادمون لهـذا الكلام وقال . ومن اين لي كل ذلك وانا لا املك من المال شيئاً انفقه في هذا السبيل.

قالت فلورات . سكن روعك واطمئن من هذا القبيل فان والديّ يبذلان لك كل ذلك جائزة لقاء شهامتك في انقاذك اياي من الخطر امس.

— وهل تظنين انني اقبل على ذلك جائزة وانا لم افعل سوى ما كان يفعله كل انسان لو وجد في مكاني فكيف وانت تعلمين مقدار حبي لك تريدين ان اعتاض عن فعلي بثمن .

افتظنين يافلورات انه لو قدّر ومستك تلك الحية بشرّ أكان نصيبي غير الرصاصة التي اخترقت رأسها ان تخترق قلبي ·

— ولكن اما تدري بان الضرورة توجب عليك قبول المال والا فلا سبيل الى اقتراننا لان والديَّ لا يسمحان بذلك ما لم يتفقا على حقيقة ماضي حياتك ويتأكدا حسن مستقبلك فارجوك بحق الحب الطاهر الذي يربط فوءادينا الا نعود الى الجدال في هذا الموضوع بل تذهب معي الى المنزل حيث تقابل والدتي الان ومتى حضر والدي تقدمك هي له·

— اطيعك في الذهاب لمقابلة والدتك ولكنني لا استطيع قبول المال كما قلت لك من قبل·

— طلبت اليك ان تقبل كل ما يعرض عليك منه لان ذلك ضروري وانا استحلفك بحق الحب المتبادل ان لا نعود الى البحث في ذلك واغتنم هذه الفرصة الثمينة الآن لتخبرني عن سرّ وجودك في هذه الديار وعما هي الخطوة الاولى التي تخطوها متى ملكت المال·

— آه يا فلورات ماذا اقول لك·ان حياتي كلها مصاعب وشقاء لانني لا اقدر ان اريح فكري من جهة المال حتى احمله اكثر من ذلك من الانشغال لان اول خطوة اخطوها بعد الحصول عليه هي السفر الطويل الى الوطن الذي هجرته وهناك ربما كان لي اضداد كثيرون لا اقدر ان انجو من شراكهم·

— انك تخيفني بهذا الكلام يا ادمون فما هي هذه التخيلات والاوهام ․ هب انك سافرت الى آخر المعمور افلا تدري بان النسر الامريكي يرف فوق رأسك ويحميك من كل عدو․

— نعم ولكن الموضع الذي اقصده لا يصله والوطن الذي انتمي اليه مخيم فوقه الظلم․

— ما هذه البلاد وما هو هذا الوطن انا اعلم بانك لست امريكياً ولكن من اي بلاد انت․

— انا سوري من بلاد القلانس والطيالس ․ من البلاد التي ابتزّ خيراتها سكان الاديرة والكنائس ․ من البلاد التي يعيش فيها المراوغ والمداهن والمدالس․ من البلاد التي

فيها الكنائس جمة لكن تقلّ بها المدارس

أعرفتِ من اي بلادٍ انا ․

— نعم عرفت ولكن ما يهمك وانت سوف لا تذهب الى تلك البلاد التي وصفتها لي لتقيم فيها مدى العمر ․ انت تذهب لقضاء غرض معلوم وتعود سريعاً․

— ولكن دون وصولي لقضاء هذا الغرض بل دون وصولي الى تلك البلاد واقامتي القليلة فيها اهوال واخطار

— ولماذا كل ذلك ․

— لان عدوي هناك مالك ازمة الدين والدنيا․

ـــ وكيف وجد لك هذا العدو وانت قد هاجرت ضعيفاً ولم تكن قادراً على اذية احد او ردّ خير عن احد.

ـــ ذلك لان وجودي كان مداعياً بحقوقٍ في اهتضامها على كل فرد من ابناء وطني ضرر عظيم استقلت بها طغمة قوية لا تزال مستبدة في احكامها وتصرفاتها في تلك البلاد السورية.

ـــ بالله عليك ان تكشف لي اكثر من هذا السرّ وتقول صريحاً من هم اعداؤك ومبغضوك فقد زادت فيَّ الرغبة الى معرفة ذلك أهم انسباؤك ام حكامك ام من.

ـــ ان اعدائي ومبغضيّ هم اعداء الامة السورية عموماً. هم اعداء الحق والاصلاح. هم اعداء الحرية والعلم. هم اعداء التمدن والتقدم. هم هؤلاء الذين قال لهم السيد المسيح في انجيله الكريم „ لا تحملوا ذهباً ولا فضة واي بيت دخلتموه فقولوا السلام على صاحب البيت " هم الذين قال لهم ايضاً „ باركوا لاعنيكم حبوا مبغضيكم من ضربكم على الخد الايمن حولوا له الايسر ومن سخركم ميلاً فامشوا معه ميلين " هؤلاء هم مقاوميّ. هؤلاء هم مبغضيّ. أفهمت من هم. هم نواب المسيح ولكن بغير فضائله السامية. هم خدمة الدين وغير تابعي تعاليمه المقدسة هم اكثر الاكليروس.

فبهتت فلورات لهذا الكلام وظنت لاول وهلة ان قد مس مخاطبها وجنّ فقالت له.

— ماذا تقول هل للاكليروس في بلادك مثل هذا النفوذ او هل يعمل بغير جمع القلوب وضم الكلمة وتوحيد الرابطة ولكن ما لنا ولهذا فما هي علاقتك معه ايخاف ان تزاحم بعض روءسائه على الرئاسة ام ماذا. بالله عليك انك كلما زدتني ايضاحاً زدتني ابهاماً فافرج كربتي واوضح جلياً عن كل شيء..

— ماذا اقول لك يا عزيزتي فلورات عن هذه الامور فانني ان قلت الحقيقة ربما لا تصدقينها ولهذا السبب ترينني افضل السكوت والصبر والعذاب بل افضل الموت قبل ان اجعل في فوءادك موضعاً للشك في كلامي.

— بالله عليك لا تزدني شكاً وريبة بمثل هذا الكلام وأزل عذاب قلبي واكشف عن هذا السرّ فانك تدهشني بكلامك لانه لو كان لعدوك مثل هذا النفوذ والاقتدار فانت اذًا لك مثل ذلك اذ لا يعقل ان يصوب هذا العدو القوي سهامه الا الى رجل اقوى.

— قلت لك ان عدوي هو عدو الامة السورية والمحتكر خيرات اراضيها والحاكم المطلق فيها. هنالك في تلك البقعة العزيزة من سوريا التي تدعى لبنان هنالك حيث الماء سلسبيل والهواء عليل هناك حيث الطبيعة تجري على نظامها المحدود حيث يولد الرجال الاشداء هناك على سفح ذلك الجبل الاشم الذي يكلل رأسه ابدًا اكليل من الثلج الناصع البياض ويمنطق خصره طراز

من وشي الطبيعة تعجز عن تقليده قوات البشر ويفترش بين قدميه السهول الواسعة تتدفق خيراتها فتكسب العامل جنا اتعابه هنالك ترين الصوامع والكنائس والاديرة والمحابس قائمة بين اراضيه ومزارعه حتى اصبحت نسبة رهبانه الى ساكنيه وقسوسه نسبة واحد الى عشرين او ثلاثين اي انه يوجد في تلك الربوع العزيزة خادم نفس لكل ثلاثين من الشعب وكل هوءلاء القسس والرهبان يقتاتون من مال الشعب ومن خيره ويعملون على انحطاطه وضيره. هنالك حيث مفاسد ومكايد بعض لابسي السواد تسود على قوة العلم والحرية. اولئك الاقوام الذين ترفعوا من مقام العابد الى مقام المعبود. اولئك الاقوام الذين اتخذوا الدين لهم طريقاً الى الفساد وزرعوا بين الناس بذور الشقاق والبغضاء والعناد. اولئك الاقوام الذين قاسمونا املاكنا مقاسمة ظالمة ستظل سبباً للخلاف ما بيننا وبينهم الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً. هنالك حيث لا اثر للوطنية ولا وجود للمحبة الاخوية ولا عصبة الا العصبية الدينية. هنالك حيث يسود الاسقف على السلطتين الدينية والزمنية فيبيع من الخاص ارضاً في السماء معلومة ويقلد الوجيه وظائف في الحكومة سنية. هنالك يجب ان اذهب يا فلورات وارمي بنفسي بين تلك الذئاب الخاطفة الذين قال عنهم السيد المسيح. اما كهنة الجيل التاسع عشر فاتقوا شرهم ومفاسدهم وهوءلاء هم من ابناء ذاك الجيل.

— ولكن انت لا تذهب لتقيم بينهم وتساكنهم وتخالطهم• انت تذهب لقضاء امور معلومة وتعود لتكون من سكان هذه البلاد ومن رعايا هذه الدولة المبسوط فيها رواق العدل والخافق فوقها علم الحرية•

— هذا ما يشجعني على الذهاب انما هو حبك الذي يحركني الى سرعة الاياب •

— ان مبادئك وافكارك شريفة يا ادمون فاعلم ان والدي متى وقف على حقيقة امرك يساعدك بكل شيء توصلاً الى غايتك فاننا نحن الامريكيين نسر ببذل النفس والنفيس اسعافًا لشعب مظلوم وامة مكرهة على الضيم فانظر الى الامة الكوبية كيف بعد ان هرقنا في سبيلها الدماء حتى جرت انهارًا وانقذناها من مخالب الظلم الاسباني ودبرنا امرها اطلقنا لشعبها حرية الحكم المستقل وصيرناها جمهورية حرة• بل انظر الى الفيلبين — الى ذاك الشعب الذي كلف جمهوريتنا الوف الناس وملايين الريالات كيف اننا بفرح وسرور نقدم له ذلك توصلاً الى غاية شريفة هي الحرية الحقيقية • وانا اعجب كيف ان من كانت هذه افكاره ومبادئه يحجم عن كشف هذه الافكار لغير سبب جوهري سوى الاعتقاد بعدم الثروة المالية•

ان هذه المبادىء يا ادمون لا تكون في غير النفس الشريفة التي يجب ان لا تتخذ هيكلاً غير شريف واننا نحن الامريكيين الذين

وان كنا نميل احياناً الى الحسب والشرف فاننا لا نفتر بغنى خصوصي او شرف وهمي — ان طريقة المساواة هي الطريقة الفضلى بين الناس ولا اخالك الا من هذا المبدأ .

— انك يا فلورات لو وقفت على اميالي الخصوصية لوجدت بانني افضل هذه الطريقة على كل طريقة سواها . افضل البساطة بالالقاب والشرف الذي يتأتى من العمل والكد والجد والنشاط على ذاك الشرف الموروث الموهوم . ذاك الشرف الذي كثيراً ما يورث الكسل والخمول .

— هذا كما كنت اظنه في نفسك الشريفة .

— اراكِ قد انصرفتِ الى المدالسة فهذه على حد ما تقول في امثالنا ,, سياسة تركية او مداهنة اكليريكية ''.

— بل اراكَ قد عدت الى الاكليروس كأن بصدرك منه حزازات او ان لك عليه ثأراً واني لاعجب كيف يمكن ان تكون هذه الحزازات والاحقاد في تلك النفس الشريفة التي كشفتها لي .

لا ثأر لي على الاكليروس ولا حزازات منه في صدري اذ لو كان ذلك لكان يجب ان يكون مع عدد معلوم ولكن هي بلادي التي تئن من جوره وهم مواطني الذين يبكون من احكامه واهلي الذين يشكون من مفاسده وما اعرفه واعلمه عن شروره ومكايده كل هذه الاشياء تحرك في

يا فلورات الرغبة في السعي وراء هذا العضو المهم في جسم وطننا السوري . فانه لو قدر لك وزرت يوماً ذاك الجبل العزيز واستنطقت آكامه وصخوره لأنت لك وبكت من جور لابسي السواد اولئك الذين اختزنوا خيرات لبنان وباعوا ضمائرهم وشعائرهم بالفضة الوهاجة والذهب الرنان واعرضوا عن قول السيد المسيح ,, لا تحملوا فضةً ولا ذهباً ولا زاداً واي بيت دخلتم اليه فقولوا السلام على اهل ذلك البيت '' اولئك الاقوام الذين اتخذوا الدين ذريعةً لاهوائهم وشوهوا الانجيل توصلاً الى اغراضهم ونبذوا تعليم المسيح الذي يأمر بالتواضع والمحبة والاخاء واعتاضوا عن ذلك بالنميمة والكبرياء اولئك الذين يوصون بوجوب الائتلاف ويعملون في السرّ على الشقاق والخلاف . اولئك الاقوام الذين وصل بهم الطمع الى ان وضعوا يدهم على املاكنا وارزاقنا يتنعمون بخيراتها ويتقلبون وعلى تفرقنا وتأخرنا وانحطاطنا يعملون .

— الا تعلم انك باحتقارك لخدمة الدين تحتقر الدين وان باجمالك هذا تظهر ان ليس بينهم صالحون .

— انا اعتبر الدين واكرم الدين ولا ريب عندي بالدين ولكنني اغار على الدين الشريف ان يهان وان يكون بفضل خدمته عرضة لقوارص الكلام وهدفاً لسهام الملام ومتى رأيت خدمة الدين يتحادثون ويتباغضون . — متى

رأيتهم يكيدون لبعضهم المكائد؟ ويدسون السموم على المذابح في ذاك الخبز الذي يزعمون انه يتحول بين ايديهم الى دم المسيح — متي رأيتهم يعظون من على المنابر بوجوب البغض — متى رأيتهم يحاولون قطع الارزاق — متى رأيتهم يفرقون بين الاخ واخيه — متى رأيتهم يتسابقون ويتنافسون على الرئاسة · متى رأيتهم ينمون ويكذبون ويقولون كل كلمة شريرة لا اقدر ان اعتبرهم واغار على الدين الذي يبشرون به· الدين يأمر بالمحبة · الدين يأمر بالائتلاف · بالتواضع · بالصدق · بالاستقامة · بالقناعة · الدين يأمر بالتسامح والتساهل · واي فضيلة من كل هذه الفضائل يعمل بها دعاة الدين ؟

اراهم يبغضون ويفسدون ويتكبرون ويكذبون ويطمعون ويتعصبون · انك يا فلورات لو دخلت ذلك الجبل العزيز وحادثت كهوله واطفاله ووقفت على حقيقة حاله لوجدت ان شرور هذه الطغمة تفوق شرور الفوضويين · ان الفوضوي يتعمد قتل ملك او كبير قد يكون لرعيته مرات كثيرة منفعة في التخلص منه ولكن هؤلاء اللابسي السواد يقتلون العقول والنفوس الشريفة · يقتلون المبادىء المسيحية الحقيقية والرابطة الوطنية والعاطفة الاخوية ويقتلون الضمائر الحية ليتمكنوا من زرع مكائدهم ومفاسدهم ويملكوا ايديهم! في الحكم · هؤلاء

هم كهنة باعال · هؤلاء هم الفريسيون · هؤلاء هم العشارون الذين يأكلون مال الشعب ويعشرون النعنع والشبث ·

ان في لبنان — في ذاك الجبل العزيز — مصيبة وطنية عمومية يكاد لا ينجو منها فرد من افراد تلك الامة السورية متأتية من وراء دعاة الدين لابسي السواد · وهذه المصيبة هي مصيبة الاوقاف · فان لكل الكنائس اوقافاً ولكل الاديرة اوقافاً ولكل واحد من اصحاب القلانس اوقافاً · حتى اصبح معظم املاك لبنان اوقافاً وقد تصير كلها في ايديهم ما دام الشعب على هذه الحال · هنالك ترين بين آكام ذلك الجبل العزيز ووديانه البساتين الغناء والاراضي الفيحاء والغياض المثمرة والحقول المخصبة تتدفق خيراتها الى خزائن الاديرة لينعم ساكنوها بالمآكل اللذيذة والملابس الفاخرة واقتناء الخيول المطهمة بينما الشعب المسكين الشعب الفقير الخامل يئن من ألم الفاقة ويهاجر طلباً للرزق ويتحمل مخاطر الاسفار ومشاق الاغتراب طمعاً بسد العوز.

— ولكن كيف وصلت هذه الارزاق الى الاكليروس وهل هم تعدوا عليكم بشيء من املاككم الخصوصية حتى تحفظ لهم في قلبك مثل هذه الاحقاد ؟

— قلت لك بانني لا احفظ في قلبي الحقد لاحد لانني لست من هذه الطغمة ولكن لا بد من قول الحقيقة ولو كانت

جارحة . لا بد من استنهاض همم الشعب وكشف المخبأ من الامور حتى يهب هبة واحدة توصله الى حقوقه لأن هذه الاملاك قد وصلت الى الاكليروس بالحيلة والخداع ويجب ان تؤخذ منه بالحق والقوة .

— ان الحرفة الاكليريكية في لبنان هي حرفة الخمول والكسل وحب الذات لانها لا تتم حسب الدعوة الالهية كما يزعمون بل انها تتألف من الكسالى الذين لا يستطيعون عملاً او من المفسدين الطامعين الذين يريدون ان يمتلكوا رقاب الشعب.

— ولكن الا يوجد في لبنان مدارس تزرع في افكار التلامذة المبادىء الحقيقية ليوقفوا سير هذا المرض الذي وصفته لي ؟

— نعم يوجد في لبنان مدارس ولكن ترين بلية لبنان من مدارسه لأن الشعب الخامل ينقاد ابداً لطلاب المدارس وهؤلاء هم على الغالب من صنعة الاكليروس ولا يرجى منهم نفع من هذا القبيل اذ ان المدرسة التي يرأسها المطران ويدرّس فيها الكاهن ويناظر على التلامذة القسيس ماذا ترجين ان يعلم فيها غير الطاعة العمياء . والخمول . واماتة الحماسة الوطنية . غير الصلاة والصوم . ان مدارس لبنان الاكليريكية هي اقرب الى الاديرة والصوامع منها الى المدارس . انني قد كنت لسوء الحظ من تلامذة هذه المدارس وترينني لا ازال اتأسف على

الدرهم والوقت اللذين اضعتهما فيها·

ماذا تفيد المدارس ان لم تكن وطنية· ماذا تفيد ان كانت تضيع وقت التلامذة بالمسائل الدينية · ماذا تفيد المدارس التي لا تدرّس تواريخ الامم الحقيقية وتزرع في عقول التلامذة العاطفة الوطنية · لا يوجد في كل لبنان مدرسة يدرّس فيها تاريخ لبنان ولا تاريخ الثورة الافرنسية ولا تاريخ تقدم الامة الامريكية ولا الانكليزية · بل ان كل ما يدرّس هنالك هو بعض المماحكات اللغوية والاشياء السطحية والتعصبات الدينية· هذه هي مدارس لبنان هي طريق توصل الى الخمول والانحطاط والذل · وتجدين ارزاق لبنان كناية عن اوقاف واملاك لتلك المدارس اخذها الاكليروس كما قلت لك بالحيلة والخداع وهو يتنعم بها ويعيش من ريعها قرير العين ناعم البال

— انك جعلتني شديدة الاهتمام بهذا الامر يا ادمون فهل لك ان توضح لي كيف تمّ ويتمّ ذلك

— خذي لك شاهداً من الف · توفي احد وجهاء لبنان عن ثروة طائلة يكفي صافي ريعها للقيام باود عشرات من العيال الكبيرة واذ كان بدون عقب اوصى ان تبقى الورثة كاملة وان لا يباع منها شيء وان يفرق ريعها على كل ارملة ومحتاج من ذوي قرباه واقام احد الاساقفة رئيساً لتلك الورثة يتصرف بدخلها حسب منطوق الوصية·

— ما اجمل هذا الفكر واكرم هذا المحسن·

— نعم الفكر جميل والمحسن كريم ولكن الغلط وقع بانتخاب الاسقف منفذًا للوصية ·

— ولماذا

— لان سيادته عوضاً عن ان يقوم باتمام ارادة الميت ويكتفي بالربح القليل من ذاك المال الطائل ضرب بعصا من من حديد على كل راغب من تلك الورثة في شيء واصبح المال وربحه غنيمة باردة بيد الاسقف واعوانه ينفقون معظمه على تنعمهم وتلذذهم وما بقي يذهب اما الى جيوب اقاربهم وذويهم واما نصباً لمكيدة او تنفيذًا لمأرب·

— ولكن هل طالب احد بشيء من ذاك المال ؟

— نعم ذهب الارامل نائحات والايتام باكين مذكرين ومطالبين بحقوقهم من تلك الورثة ولكن يا للاسف ! كانوا يعودون كما ذهبوا ومرات كثيرة كانوا لا يتمكنون من التشرف بالمثول لدى الاسقف او الوكيل بل يُصرفون في الحال بدعوى ان سيادته مهتم ببعض الشؤون التي تعود على الملة والوطن بالخير ولم تكن غالباً تلك الشؤون الا مكيدة لشر او فخاً لورثة آخرين·

— ولكن هل لم يلتجيء احد الى السلطة المدنية في مثل هذه الظروف ·

— نعم ولكن السلطة المدنية في لبنان ليست الا آلة في يد السلطة الدينية·

— وكيف ذلك أليست حكومتكم دستورية والحكم اداريًا والجبل مستقل باموره الداخلية ؟

— نعم الجبل مستقل وقد ربح استقلاله بدماء الابطال من بنيه وخط قانون الاستقلال بمهجهم ولكن ماذا اقول وقد

قالت الضفدع قولاً فسرته الحكماء
في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء

فالاقوام الذين هم المتقلدون تنفيذ قانون الجبل ليسوا الا خيالات متحركة كالصور التي نراها كثيرًا في ملاهيكم· والقانون الذي كتبت احرفه بدماء الابطال صيانة لحق الشعب لا ينفذ الا كما تشاء الاهواء والغايات·

— وكيف يصبر الشعب على هذا الحيف والضيم ؟

قلتُ لك بان اكثرية الشعب لا تزال خاملة لان الضغط كان قويًا ولكن لا بد من ان يأتي اليوم الذي يهب فيه الشعب من رقاده ويضرب على ايدي ظلامه تلك الضربة القاضية ويستعيد حقوقه ولا اظن ذلك بعيدًا لان هؤلاء الظالمين الذين قد وصل التظلم منهم الى عنان السماء لم ينتبهوا الى الآن الى استفاقة الشعب وقد جهلوا ما قال شاعر القطرين

ان ملكت النفوس فابقِ رضاها

فلها عزة وفيها مضاء

يسكن الوحش للوثوب من الاسد

فكيف الخلائق العقلاء

— وهل يوجد كثير لدى هذه الطغمة من مثل هذه الاوقاف ؟

— اقدر ان اقول بدون مبالغة بانه لا يوجد بيت او عائلة او فرد في لبنان لم يوقف شيئاً مما له كل حسب مقدرته فالشعب اللبناني كان كله ولا يزال اكثره يعتقد بان شخص الكاهن مقدس او انه يقدر بواسطته ان يكون من الابرار ولو ارتكب كل الفظائع لانه بدون هذا الرضى لا يحسب انساناً فالكاهن في احدى الضياع اللبنانية هو الحاكم المطلق بين الشعب . هو الامر الناهي . هو الكل . وهؤلاء الحكام لسوء الحظ لا يقفون عند حدّ التحكم في الشعب واغتصاب ارزاقه وابتزاز امواله بل هم يعمدون الى المكيدة والشرّ وقلّ من يسلم من غوائلهم فهم يفسدون بين الاخ واخيه والابن وابيه والامرأة وزوجها والله وحده ادرى بكل ما يفعلون .

— وهل كل الكهنة كذلك ؟

— ان هذا لا يكون اذ لكل منهم طريقة مخصوصة لنصب مكائده ومصائده فالفضيلة التي عند هذا تقابلها رذيلة عند ذاك

والرذيلة التي عند ذاك تعاكسها فضيلة عند هذا · اي ان لكل منهم بعضُ الفضائل وشيء من النقائص ولسوء الحظ ان هذه النقائص هي اكثر من تلك الفضائل · فالكاهن الذي لا توجد له مثلاً فضيلة بغير العفاف وبعض العلم الكنسي لا يسلم من رذيلة البغض والكبرياء والحسد والكذب والنميمة والاختلاق واحتقار الناس والجبانة · والكاهن الذي يريد ان يكون ذا مزيتين الواحدة دينيـة والاخرى عالمية اي ان يعتبره الشعب ككاهن ويتصرف هو بجمع المال والتدخل في امور الشعب كعالمي لا يكون كاهناً عاقلاً · والكاهن الذي يدفعه تواضعه الى محادثة احقر امرأة في احقر الشوارع والترنيم لله بالحان الغناء في الاسواق ومسـايرة الشبان والشابات على منعطف الطرقات وفي الحانات والكرم الحاتمي في بعض الظروف لا يجعله هذا الكرم والتواضع والمسـايرة ان يكون كاهناً صالحاً لخدمة الانفس وبالاجمال فهذه حالة اكثر الكهنـة في لبنان ولكن كل هذه الامور ليس من مقصدي البحث فيها بايضاح كلي الآن انما كلما احب ان اتوصل اليه هو مسألة الاوقاف والمناشير والتكدية بادعاء وشرف وكبرياء · هذا هو مقصدي الآن يا فلورات وهذا ما احب ان انبـه افكار قومي اليه فان صادف كلامي آذاناً صاغيـة كان ذلك كل ما اريد والا اذا كانت العقول اللبنانية لا تزال كما كانت منذ عشرات السنين فاكون عدا

كوني قد اضعت التعب بدون نتيجـة قد استجلبت فوق ذلك غضب وبغض مواطني فاصبر الى فرصة اخرى ٠

— ولكن مع كل ما بينت لي عن احوال الاكليروس لم تقل لي بايضاح تام عما تقصـده في زيارتك الى تلك الربوع اللبنانية ٠

— اريد الذهاب لاسعى بخلاص ما هو مغتصب لي ولعائلتي من الاكليروس وحتى اوقد في افئـدة القوم جمرة الثورة الادبية ضدّ لابسي السواد وحاملي المناشير والدجالين المحتالين ٠

اريد الذهاب لعمل هذه الامور وانا اعلم بان دونهـا العذاب والهلاك ٠ دونها الموت ٠ ولكن ان كانت النتيجـة تـتم بعذابي وهلاكي وموتي فانا بكل سرور اقبل كل ذلك فداء الامة اللبنانية التي انا منها وفيها ولها ٠

ربما تستغربين كلامي وتنسبين اليَّ الجنون وتعتقدين ان ذلك من الصعب ان يكون ولكن لو علمتِ بانني لا اتطلب الاصلاح العاجل ولا اقصد ان يتم ذلك بعام او عامين لاستهنتِ الامر ٠ انا اذهب لابث هذه المبادي بين معارفي واصدقائي وهوءلاء يبثونها بين معارفهم واصدقائهم وهكذا تدريجاً الى ان تصبح هذه المبادىء عموميـة بين الشعب فتضرم اذ ذاك جمرة النفور والشقاق بين النفوس الشريفة

والشيم السود ويكون من وراء اشتمالها ايقاف هذا العنصر عند حده واستعادة ما اغتصبه وامتلكه من مال الشعب وحقوقه وتقييده ضمن دائرة مخصوصة لا يمكن له تعديها . نعم ان ,, خادم المذبح من المذبح يعيش " ولكن خادم المذبح لا يجب ان يعيش ويعيش معه كل ذوي قرباه واهله ولا يجب ان يختزن الاموال ليصرفها عليه وعلى ذويه بينما الشعب يئن من ضيق الحال ويهاجر طلباً للارتزاق . انظري يا فلورات الى الامة الافرنسية تلك الامة التي اعطت العالم اجمع قوانين المدنية . التي اول ما خطت في صدر قانونها مساواة اخوية . هل نبغت قبل حدوث ليلة الباستيل الشهيرة في تاريخها بل في تاريخ المدنية . ان العالم اجمع كان ينظر في ذلك الحين الى فرنسا نظرة الاشمئزاز والكره . نظرة البغض والغضب ولكن لم يطل وقت ذلك الاشمئزاز والبغض الا وابتدأت الشعوب المرتقية في اتباع خطة والدة المدنية والحرية ومهد المساواة والانسانية . ان الاكليروس الافرنسي لذلك الحين كان كالاكليروس السوري ادعاء وعناداً وشقاقاً وفساداً وتطاولاً على حقوق الشعب رأس السلطتين الدينية والزمنية . ولكن لم تنفجر جمرة تلك الليلة الهائلة حتى انارت باشعتها ملايين الناس وخطت باحرف من نار في الفضاء وكتبت على وجه الغبراء بالدماء وجوب ايقاف الطغمة السوداء

ومنعها عن الادعاء والتحكم والكبرياء . ولكن لسوء الحظ ان شرارات هذه الجمرة لم تصل بعد الى بلادنا السورية وكل ما وصل الينا منها هو بعض الاشعة التي انارت عقولاً وابهرت اخرى . ان امتنا السورية لا تزال تخاف النار ولا تزال مقصرة عن اللحاق بالامة الافرنسية والاستنارة من نتائج تلك الليلة الشهيرة واكتساب الحسن منها . ان امتنا لا تزال تخاف الاكليروس لانه في اعتقادها يربط على الارض ويحل في السماء ولهذا فهي مستسلمة اليه بارواحها واجسادها وكل ما لها . انظري الى فرنسا اليوم تريها تأتينا ببرهان جديد على تقدمها خطوة كبيرة في سبيل الكمال . انظري الى العالم اجمع كيف ينظر اليها بعين الكره والغضب لقيامها ضد الاكليروس قومة ثانية تكاد ان تكون من جميع وجوهها اشد هولاً من الاولى . انها في تلك الثورة قامت فانتزعت من يد الاكليروس الاوقاف التي كان قد تسلط عليها من مال الشعب وحفظت له منها الثلث فقط لانها وجدت ان في ذلك الثلث ما يكفي لمعاشه واعادت الثلث الثاني لاصحابه لانهم احق به من سواهم وابقت الثلث الاخير بيد الحكومة لتعمل به على اصلاح حال الامة واعتقدت ان ذلك يكون كافياً لايقاف هذه الطغمة عند حدودها ولكنها وجدت بعد حين بان الاكليروس بدأ ان يتسلط ثانية على افكار الشعب عن طريق السماء وانشأ

المدارس يعلم فيها الذل والطاعة العمياء ويبث مرسليه في كافة الجهات والانحاء . فهالها هذا الامر وعرفت ان في ذلك خفضاً من مجدها وان بنيها سيعملون على ذلها من جراء ما يتلقونه من التعاليم المضرّة بها فضربت على ايدي تلك الطغمة الضربة القاضية وطردتهم من بلادها وضبطت املاكهم واقفلت مدارسهم ومنعتهم عن التعليم والتدخل بشوءون الشعب ولم تبقِ منهم الا النفر القليل يقوم بخدمة الانفس فقط ولا مال له ولا وقف وانما يتقاضى معاشه من الحكومة التي وضعت يدها على تلك الاوقاف والاموال لتصرفها في سبيل راحة الشعب وتقدمه .

هذا ما جرى الآن في فرنسا يا فلورات وهذا ما ينظر اليه العالم اجمع بعين التعجب والنفور من الحكومة الافرنسية . تلك الحكومة العاقلة العادلة . ولكن الحقّ الحقّ اقول لكِ بانه لا يمضي وقت قصير الا وتبتدىء بقية الامم باتباع خطة الحكومة الافرنسية نور الفضيلة ومنبع الحرية .

وهكذا ارزاق اديرة لبنان واوقافها التي تقدر بنصف اموال الجبل . تلك الاموال الموضوعة بايدي اقوام اغبياء يجب ان تصرف على ما به خير الشعب وراحته ان كانت لا تعاد الى ذويها . ان كل دير في لبنان قادر على ايجاد مدرسة عمومية لكل القرى المجاورة له وكل كاهن في تلك الضياع اللبنانية

قادر على اسعاف الفقراء والجاء المعوزين والمنكوبين من اهل قريته بما وقفه الشعب للكنيسة ومع ذلك فانك لا ترين بين هوءلاء الرعاة الا الاثرة والاحتيال لزيادة المال ومنفعة ذويهم الاخصاء ويا ليتهم مع ذلك يشتغلون بشي من العلوم فان اكثرهم جهلاء لا يعرفون من اصول القراءة والكتابة شيئاً غير ما يقولونه عن ظهر القلب من الصلوات التي لا يفقهون لها معنى بل تتلى عليهم ليحفظوها كالببغاء التي لا تدري ماذا تقول . واذا وجد بينهم عالم فاما ان يكون واحداً من الف واما ان لا يفهم من العلوم الا ما من شأنه ان يلقي البغض بين الافراد ويزيد الضغط على العقول. ان الساكن في احد تلك الاديرة اللبنانيه وهو ناعم البال لجهة معاشه آمن على حاله من يد الدهر يتقلب على بساط الراحة والطمأنينة في بقعة من اجود بلاد الله مناخاً ينبسط البحر امامه كالمرآة الصقيلة وترتفع وراءه سلسلة من الجبال الشامخة تفترش بين يديها الحقول المخصبة وترصع آكامها بالثلج الناصع الابيض وهو لا هم له من الدنيا بسوى النظر من نافذة غرفته الى تلك المناظر الجميلة والاصغاء لقرع جرس المائدة ماذا ترينه يعمل في كل سحابة نهاره ان كان لا يشتغل بالعلم ؟ لا شك انه ان كان لا يجد لعقله مخرجاً من الذهول بالدرس والمطالعة والتأليف فانه ينصرف اذ ذاك الى مقاومة اخيه الراهب ليزاحمه على منصب الرياسة ويسعي وراء

فريسة يقودها اليه جهلها واحتياله فيدفعها غنيمة باردة بين يديه قضاء لرغبتـه ونيلاً لمرامه . وهكذا ينصرف معنى الدير من النبل الى الشر وتسوء النتيجة التي كانت ترجى للخير. فالشعب اللبناني لا يمكن له ان يحصل على الراحة والسعادة الا باصلاح حال الدير اولاً وهذا لا يكون بغير الجرائد الصادقة والتآليف المعتبرة التي تبث مثل هذه المبادئ بين افراد الشعب

. . . .

اظن انني لو افسحت لك المجال لتكلمت عن الاكليروس النهار بطوله افلا تدرين بان الوقت قد حان وبانه يجب عليّ ان اعود سريعاً الى البيت لان والدتي تكون قد استطالت غيابي ؟

— ان كان ذلك كذلك فلكِ ما تريدين اما انا فسابقى بقرب هذا الينبوع اتذكر محاسنك وأفكر في امري .

— كيف هذا وانت قـد وعدتني بمرافقتي الى البيت لاقدمك الى والدتي ؟

— نعم ولكن الوقت لم يحن بعد .

— ان هذه الفرصة ثمينة يا عزيزي ادمون واذا كان لي عندك اعزاز فانك لا ترفض .

— ان كان ولا بـد من ذلك فلكِ ما تريدين ولكن الا تظنين ان الاوفق عدم ذهابي الان وتأجيـل هذه المقابلة الى المساء .

— حسن ان كان ذلك يرضيك اذ اكون بانتظارك اقص على والدتي حقيقة حالك التي ولا شك تسرها كثيرًا وتكون واسطة لانالتك ما ترغب والان فانا استودعك الله الى اللقاء ٠

﴿ الفصل الثالث ﴾

— المقابلة —

تركت فلورات حبيبها ادمون في تلك الوقفة على احر من جمر الغضا واسرعت الى القصر فوجدت والدتها بانتظارها في الدار الخارجية والكدر ظاهر على محياها ونظرت الى يمينها فوجدت خادم والدها الخاص واقفًا في تلك الدار فذعرت وقالت ٠

— أجاء والدي ؟

— نعم جاء منذ ساعتين اجابت الوالدة ولم ينفك عن السوءال عنك منذ وصوله ٠

— ولكن هذا لم يكن الوقت المعين لحضوره ٠ قالت الابنة لانه في رسالته امس لم يحدد هذا الوقت ٠

— اظن انـه رب البيت وان له مطلق الحرية بالحضور اي وقت اراد وعوضاً عن ان تسري من هـذا الامر اراك تضطربين له كأنك تشعرين بخطأك وتخافين ان يعرف شيئاً عن حبك ويمنك عنه ·

— لا اشعر بشيءٍ من هذا لانني لم أتِ شيئاً منكرًا · ومع هذا فانا افتخر بمن احب واظنك لو وقفتِ ووالدي على حقيقة حاله واصله وفصله ومباديه وافكاره لافتخرتما انتما ايضاً · فانني افتخر ايضاً بان حبنا شريف طاهر لم يخالطه عيب ولا دنس وترينني بالعكس اسر كثيرًا بوصول والدي في مثـل هذا الوقت لانني اقدر ان اقدم ان ادمون لكما سوية حين قدومه في هذا المساء ·

— وهل يحضر هذا المساء ؟

— نعم يحضر بنـاء على اشارتكِ البارحة ورغبتك في مقابلته والآن اين والدي ·

— يتمشى في الحديقة ·

— اذًا انا ذاهبة اليه · قالت هذا واسرعت نحو الباب فوجدت والدها عائدًا فارتمت بين ذراعيه وضمها الى صدره وتقدمت والدتها نحوهما فاخذها المستر هورد من يدها وخرج الثلاثة سوية الى الحديقة يتمشون ما بين تلك الاشجار والازهار وهو يقص عليهما ما عرفه بتلك السفرة من الاخبار الى ان

وصلوا الى قرب البركة التي في وسط الحديقة فجلس الثلاثة على مقعدٍ هناك واخذت مركاريت تقص على زوجها خبر عشق فلورات

. . . .

بعد ذهاب فلورات من قرب ذاك النبع وقف ادمون برهةً يتأمل في احواله ولا يدري كيف يقضي ذاك النهار الى المساء ليذهب الى مقابلة والدة حبيبته لأن كل عمله كان قائماً بكتابة فصل واحد لجريدة يتقاضى منها بدلاً معلوماً كان كافياً للقيام باوده وكان على الغالب يكتب ذلك الفصل باكرًا قبل خروجه من غرفته ويقضي النهار متجولاً بين المكاتب العمومية والمطالعة والدرس · على ان افكاره في ذلك النهار كانت متشتتة لا تجتمع الا في فلورات وفي ما ستؤول اليه نتيجة تلك المقابلة · فوجد ان احسن طريقة لقضاء ذاك النهار هي ان ينظم فيها الاشعار ويستنبط في مدحها بدائع الافكار ولا غرو فان بالشعر ما يجلي الاكدار وبعد ان اشعل سيكارة اوسانية من سكاير زهرة مصر الجميلة التي فاقت بمذاقها ورائحتها كل نوع من الدخان وشهد اهل الادب والكتابة على مساعدتها في الانشاء والتي لا تصنع الا في محل الخواجه يعقوب اوساني في نومره ٦٠ نيوستريت في مدينة نيويورك وتباع بكافة المحال السورية والامريكية نظم ما يأتي·

دعتني من فرط الغرام اسيرها
وما سترت عني الرموز امورها
بديعة حسن طاب مع مثلها الهوى
فمن رام ان يهوى ليعشق نظيرها
وقد اورثت جسمي السقام فديتها
فصرت اداري صدها ونفورها
لواحظها ترمي القلوب باسهم
اذا ما ارادت مرة ان تديرها
لها حول وردي الخدود ثلاثة
من الزنج تحمي بالنبال نضيرها
وقد غرني مرأى الورود فصدني
من اللحظ سهم بات يحمي زهورها

واذ طاب له فيها النظم وراق على تدخين السيكارات الاوسانية منه الفكر عمد الى سيكارة ثانية من الجنس الملوكي الذي شهد اكبر علماء الكيمياء بانه ابدع جنس دخان خالٍ من كل غش فاشعلها وكتب ما يأتي ·

وافت تعاتبني فبت محيرا
وحرمت بعد صدودها طيب الكرى
واجبتها رقي لصب هائمٍ
يا منيتي ما كان ذنبي يا ترى

كفي الملامة وارحمي مضني نوى
يوم النوى ان لا يطيق تصبرا
وارعي عهود الحب يا كل المنى
هل تسمحين بان اموت تحسرا
وكفاك ما فعلت عيونك بالحشا
فسلبته وجرى الغرام بما جرى
واذا الصدود بدا فعبدك مائت
في الحب معذورًا ويرحمه الورى

وعلى هذا فانه قضى سحابة ذاك النهار وهو كلما اشعل سيكارة من دخان اوساني العديدة الاشكال والاجناس ينظم في مالكة قلبه مقطعاً من الشعر الى ان مضى النهار وهو لم يشعر بضجر او كدر ·

ولما قاربت الشمس المغيب قام من موضعه وسار نحو غرفته فوصل في طريقه الى مطعم هناك فدخله وتناول شيئًا من الطعام ثم ذهب الى غرفته فنزع ثيابه العادية وتردى ببدلة من صنع الشيخ قبلان تنوري صاحب معمل البدلات في نومره ٥٣ شارع وشنطون في مدينة نيويورك وقصد منزل فلورات حتى اذا بلغ الدار الخارجية طرق الباب ودفع الى الحاجب رقعة زيارة باسمه قائلاً

. ارجو ان تدفع هذه الى الآنسة فلورات · قال ذلك

وبقي ينتظر رجوع الحاجب الذي اخذ الرقعة ودخل وبعد قليل عاد وقال له ان مولاتي ترجوك الدخول واقتاده الى قاعة كبيرة في الدار الداخلية فيها الخز واثمن الرياش ومزينة بالتماثيل البديعة وفي جنب الغرفة طاولة ووراءها شجرة تتدلى اغصانها الخضراء فوق الطاولة التي اتكأ عليها تمثال في هيئة فلورات والافعى الهائلة ملتفة على الجزع ومصوبة رأسها نحو الفتاة والى قرب الشجرة تمثال شاب في يده مسدس يقلب خزينته ليرى ان كان فيها موضع فراغ.

فانذهل ادمون لهذه الهيئة وتعجب كيف ان فلورات كانت في ذلك الوقت القصير قد اتمت مثل هذا العمل فلحظت هي ذلك منه وقالت.

— لا تعجب فان للضرورة احكاماً وانني احببت ان يكون في هذا المشهد وحده ما يغني عن النطق اذ لا يقدر الانسان ان يصف هول تلك الحادثة بمجرد الكلام وانا اعتقد بان دهشة والديَّ سوف تكون عظيمة لان عجبك لم يكن الا لمجرد السرعة اما هما فيندهشان من نفس الامر ويتأكدان ما كان محدقاً بي من الخطر ويعلمان ان مثل شجاعتك يجب ان تكافأ بغير المال. وقد اعددت هذا المشهد ورتبته هنا على ما تراه دون ان يعلما بشيء لأنني قصدت ان يكون اول كلام او حركة يبديانها بهذا الخصوص في حضورك اذ لا يقدر

الانسان ان يضبط نفسه لاول نظرة الى الشيء من التكلم بحرية مطلقة وبكلما يخالج ضميره خصوصاً اذا كان الامر ذا اهمية وهذا ما قصدت ان يحدث بحضورك لتتاكد كيف تكون احساساتها من نحوك وتعلم كيف يجب ان تتصرف وتتكلم

— اراك تذكرين اسم والديك وقد كنتِ قلتِ لي بان والدك غائب وبانك تقدمينني الآن لوالدتك فقط فهل جاء والدكِ ؟

— نعم جاء هذا الصباح وقد تحدثنا النهار بطوله عنك وهو علم الآن عن هذا الامر فوق ما تعلم والدتي ويرغب من صميم فؤاده ان يتعرف بك .

وبينما ادمون وفلورات يتحدثان بمثل هذا الكلام رفع الستار الحريري عن الباب وبان منه المستر هورد وعلى ذراعه مركاريت مرتدية حلةً حريرية ثمينة وفوق جبينها قطعة من الالماس الشديدة السطوع وكانت فلورات بذكائها الفطري الكثير قد انارت كل مصابيح القاعة الا في الجهة الموضوعة فيها الطاولة فهذه كانت قد تركتها مظلمة حتى لا يراها والداها في حين دخولها ويلتهيا بهذا الامر عن استقبال ادمون استقبالاً لائقاً يجرئه على التكلم بحرية تامة وعلى طلب يدها.

وكان المستر هورد معما هو عليه من الوقار والهيبة رجلا دمث الاخلاق كريم السجايا رقيق الجانب فاستقبل ضيفه

استقبال رجل كريم لرجل كريم وكذلك مركاريت فانها بشت بوجه ادمون وترحبت به قائلةً ٠

— قد عرفنا فضلك من قبل واحببناك قبل روءيتك ولا غرو فالاذن تعشق قبل العين احيانا

— اجاب ادمون اشكرك يا سيدتي واثني على ادبك ولطفك واشكر الآنسة فلورات التي جملت لي حظ التشرف بمعرفتكم

— لا بل اشكر تلك الافعى الهائلة ٠ قال المستر هورد ٠ واشكر شجاعتك واقدامك فقد اخبرتني فلورات عن كل ما حدث وهي بفخر تدعوك منقذ حياتها ٠

— لم افعل الا ما كان يفعله اي انسان وجد في مكاني في مثل تلك الظروف

— نعم ولكن الشجاع فقط ٠ قالت مركاريت ٠ فان مجرد روءية الافعى مقتولة وانا اعلم انها لا تقدر على الضرر اخافني النهار بطوله وازعجني طول الليل الغابر فكيف بها وهي تتلوى وتنساب ٠

— لا شك في ان ذلك مما يخيف ٠ اجاب المستر هورد ٠ وقد سألت فلورات بعد ان قصت عليّ الخبر ان تريني الافعى فقالت انها ارسلتها الى معمل التحنيط على انني بدون روءيتها لا بد لي من الاقرار بفضلك وشجاعتك ايها

الشاب الكريم وان اعرض عليك كل مساعدة اكون قادرًا على اتيانها نحوك

— انا يا سيدي غير طالب الا رضاكم ورضى السيدة مركاريت والانسة فلورات

— اظنك تتطلب رضى فلورات اولاً . قالت مركاريت ضاحكة

اما ادمون الذي كانت قد اوجدت فيه تلك المقابلة جرأة غير منتظرة فقال

— قد يكون ذلك وهذا لا يمنع طلبي رضاكم

— قال المستر هورد — قلت لك اننا نعجب بشجاعتك ونقدرها قدرها ولا نتأخر عن اظهار رضانا ومساعدتنا بكل شيء يكون في الامكان

— قال ادمون . لا شك عندي في ذلك ولهذا تروني اقدر فضلكم قدره ولكن اخاف ان يكون طمعي فوق حد الامكان وانكم ترفضون اجابتي الى ما اروم الحصول عليه

— قد لا يكون ذلك. قال المستر هورد . لا شيء لدينا اعز من فلورات فمهما بذلنا في سبيل انقاذها من خطر او ضيم كان بالنسبة الى ذلك قليلاً

— ولكن اذا كان الطمع يصل بي الى طلب يد تلك التي انقذت !

فحدث عند هذا الكلام سكوت في القاعة الى ان قالت مركاريت. هذا امر يدعو الى التفكر

— ويدعو الى معرفة رضاها هي ايضاً. قال المستر هورد وبينما كان الثلاثة يتحدثون بهذا الموضوع نهضت فلورات من موضعها وتقدمت نحو الجانب الموضوعة فيه الطاولة فقال والدها

— اراكِ تذهبين في وقت وصول الكلام اليك ولا اعلم ان كان تنصلك هذا حياء منا اومن المستر ادمون

— انا قائمة لانير تلك الانوار — واشارت الى الزاوية الموضوعة فيها الطاولة — اذ قد ذهل الخدم عن انارتها . قالت هذا وبقيت متقدمة فتتبعها المستر هورد بنظره الابوي الى ان وصلت الى امام الطاولة وادارت المجرى الكهربائي فأُنير المكان بغتةً وبان جلياً ذاك المنظر المخيف وتلك الافعى الهائلة ملتفة على جذع شجرة ورأسها مصوب نحو رأس الفتاة فنهض المستر هورد مذعوراً على غير قصدٍ منه وصرخت مركاريت صرخة الخوف والتعجب اما فلورات فعادت الى مكانها بكل هدوء ورزانة ولسان حالها يقول . هذا هو الجواب الذي اعطيه



﴿ الفصل الرابع ﴾

ــ نتيجة المشهد الهائل ــ

وبعد ان سكن روع المستر هورد من الدهشة والتعجب تقدم الى امام الطاولة واخذ يتأمل بتلك الحيـة الهائلة وبذاك المنظر المخيف والخطر المؤكد الذي كان محدقاً بابنته ثم مال نحو ادمون وقال

— اسمح لي يا سيدي ان اعانقك واشكرك فوق شكري السابق لانني مع اعتقادي بجرأتك وشجاعتك لم اكن اتصور هول هذا المنظر وانت يا عزيزتي فلورات انت يا من اظهرت ذكاء غريباً وفطنة عجيبة تقدمي اليّ لاضمك الى صدري قال هذا وتساقطت دموع الفرح والانذهال من عينيه اما مركاريت التي كانت لا تزال مبهوتة من هول المنظر فانها تقدمت نحو ادمون وامسكت بيده وانعقـد لسانها عن الكلام فتدحرجت فوق وجنتيها دمعتان كبيرتان كانتا افصح كلام في مثل ذاك المقام

وبعد سكوت اعرب عن فصاحة غريبـة عاد كل الى موضعه وافتتح المستر هورد الحديث قائلاً

— والآن وقد رأينا مرأى العين الخطر الذي لم يكن بالحسبان ونظرنا ما انت عليه من عزة النفس والشهامة والاقدام

واكدت لنا فلورات فوق ما كنا نعتقد فيك ترانا يا ادمون لا نستكبر امرًا في سبيل مكافأتك . الا انك تعلم بان مطلبك الاول لا نستطيع ان ننيلك اياه في الحال اذ يقتضي له بعض الوقت للتروي والافتكار وانا ارجوك ان لا تؤاخذني على جوابي العاجل في هذا الامر وتتكرم بقبول هذه التقدمة الصغيرة عربون اخلاص ووداد وتعتقد بان ابواب بيتي هي دائمًا مفتوحة لاستقبالك ونرحب بك في كل آن . قال هذا واخرج من جيبه حوالة بنك بخمسة آلاف ريال وقدمها الى ادمون فوقف الشاب وقال

— اشكرك كثيرًا يا مولاي على كرمك واثني على لطفك وادبك غير انني ارجوك العذر على رفض المال لانني لم اعمل عملاً يستحق المكافأة ولم آتِ الا ما كان واجبًا على كل انسان وانا بكل سرور راضٍ بالانتظار الى حين تجد الجواب موافقًا بخصوص مسألة مولاتي فلورات اما تقدمتك المالية فليس من سبيل الى قبولها فاعذر متفضلاً

— يستدل من اعراضك عن قبول المال القليل الذي اقدمه لك عربون اخلاص وولاء على كدرك وهذا ما لا اريده فقد صرحت لك بان تمهل قليلاً من الزمن لاجيبك عن مسألة فلورات وهذا يدل على انني غير ممانع في الامر اذ لو كان هذا لكنت رفضت الكلام عنه قطعيًا فانت تعلم بان لا

بد من التأني في كل الامور حتى وبالتي تستوجب السرعة فانظر الى شخصك على هذه الطاولة تجد ذاتك تقلب المسدس لتتفقد خزنته قبل اطلاقه مع كونك متأكدًا وجوب الاسراع بالرمي مخافة فوات الفرصة فلا تلمني على قليل من التأني قبل الجواب

— اذا كنت تصرفني على امل الحصول بعد التأني كما تراني اطلقت المسدس بعد الفحص فانا بكل سرور اقبل هذا الانتظار

— ولكن اسمح لي ان اسألك عما كنت فاعلاً لو قدر وكان المسدس فارغًا ولا سبيل الى الحصول على رصاص بالحال ؟

— ربما كنت وجدت غير طريقة لاهلاك الحية

— هكذا نحن فانتا تبصر في اقترانك حتى اذا قدر والفيناه غير موافق عمدنا الى غير طريقة لمكافأتك على الجميل

— ولكن انت تكافئني ليس على اهلاك الحية بل على انقاذ فلورات وسيان عندك بعده قتلت الحية ام لم تقتل

فابرقت عينا فلورات عند هذا البرهان وتحير المستر هورد في ما يجيب به ادمون فبقي ساكتًا اما مركاريت التي كانت بانتباه الى الحديث وعرفت سرعة خاطر ادمون وتوقف المستر هورد لدى جوابه السديد وجدت ان من اللازم ان تدخل هي ايضًا بهذه المحاورة فمالت الى ادمون وقالت ·

لا ننكر فضلك بانقاذ فلورات ولا شجاعتك باهلاك الحية ولا بد لنا من مكافأة هذا الفضل وتلك الشجاعة فنكافىء الفضل بالفضل والشجاعة الغريبة بشيء غريب

— لم ادرك ماذا تقصدين بذلك

— اي اننا نكافىء انقاذك فلورات بالمال ونكافىء شجاعتك الغير اعتيادية بحادث غير اعتيادي كأن تنطق تلك الحية المقتولة مثلاً بوجوب اقترانك بفلورات

فادرك ادمون ان لا سبيل الى الحصول على طلبه بالحال ووجد ان الانصراف على شيء من الامل هو خير من الالحاح الذي غالباً يورث الخذل وطرق فكره للحال امر هون لديه حل هذا المشكل فمال نحو مركاريت وقال.

— ان برهانك هذا وان يكن جواباً سلبياً لسؤالي فانا اقبله بكل سرور ولعل الله الذي قدرني على انقاذ بنتكما يجعل من هذه الحية البالية روحاً ناطقة تنطق بما يحقق املي ولكن اعلمي يا سيدتي بان هذا لا يكون بالحال فانا ارجوك التمهل القليل ولو بضعة ايام

— لك ما تريد من الوقت بشرط ان تقبل الجائزة المالية الآن

— صرحت لكم سابقاً بان هذا لا يكون لان انقاذي فلورات من خطر تلك الحية لا يستوجب المكافأة اذ انه فعل

طبيعي لا بد لكل انسان من اتيانه ولا تخالني ان هذا الحادث هو الذي حملني على طلب يدها وان كان قد جرأني بنوع ما لانني كنت اترقب الفرص الموافقة لهذا الامر

— جلية كل هذه الاقوال ولكنني اتعجب من رفضك المال خصوصاً بعد اعتقادي وتيقني بانك ان حصلت عليه فستنفقه على موضوع جليل كما اخبرتنا فلورات فهل من سبيل لمعرفة ذاك الامر حتى اذا ما وجدناه موافقاً ساعدناك في مسعاك ؟

— نعم ان الامر الذي اقصده هو السعي لتقويم المعوج في السلطة الدينية وفصلها عن السلطة الزمنية وتقييدها ضمن دائرة مخصوصة وضعت لها وتعدتها ظلماً وعدواناً

— وكيف ذلك فهل الأكليروس في بلادك فيه مثل هذا الاعوجاج ؟

— نعم ان حالة الأكليروس في بلادي هي تصلف في الرؤساء وجهل في الضعفاء

— قد كنت اظن غير ذلك لان بلادكم على ما يخبرنا التاريخ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان

— ولكن ذلك لا ينفي ان تكون ايضاً مسكن اصحاب العصيان من الكهنة والرهبان

— يذهلني هذا الكلام فقد اخبرتني فلورات ما سمعته عن حالة الأكليروس في بلادكم وعن عزمك على السفر لتبث بين

معارفك روح النهضة الجديدة والاصلاح الحقيقي اللذين اكتسبتهما من هذه البلاد ولكن هل تعتقد بانك تدرك النجاح المطلوب ؟

— قد لا يكون ادراك النجاح ميسورًا بالحال ولكن لا بد من السعي لعمل به واسطة لبلوغ الامال

— وهل تظن بان هذه هي اقرب الطرق لبلوغ الارب؟

— نعم انا اعتقد ان هذه هي الطريقة المثلى اي انتشار هذه المبادىء بين كل طبقات الشعب حتى يدرك ما هي حقوقه وما هي واجباته

— وبغير ذلك أليس من امل بالاصلاح ؟

— كلا لانني لا ارجو اصلاح السلطة قبل اصلاح الشعب وهذا لا يصطلح ما دامت الافكار مضغوطًا عليها والمفاسد سائدة والحقائق مفقودة والعقول خاملة وما دام الافتخار بالتراب فوق الافتخار بالاداب

— ولكن الا تظن بان بث هذا الروح بواسطة الكتب والجرائد يكون اسرع وانفع

— ربما كان ذلك ولكن الجريدة التي تكرس ذاتها لاصلاح هذا الخلل فقط يجب ان تكون ذات قوة مالية معتبرة لتقدر على احتمال المضادات الكثيرة التي تصادفها من لابسي السواد واتباعهم من الشعب والكاتب الذي يوقف قلمه لمعالجة

هذا الموضوع يجب ان يكون بغنى عن مراعاة الظروف ومداراة الخواطر

— اي انه اذا وجد لديه المال يقدر ان يسعى وراء الاصلاح ؟

— نعم اذا وجد المال يقدر حينئذٍ ان يكرس وقته للاصلاح

— ولكن الا تظن الفساد موجودًا بغير الهيئة الاكليريكية ؟

— نعم هو موجود بغيرها ايضاً ولكنني اعتبر ان باصلاحها يصطلح غيرها ايضاً لان الشعب اذ ذاك تصلح احواله وباصلاحه يستقيم الحكم

— عجب وهل للاكليروس كل هذه المقدرة ؟

— نعم هو الذي يربط ويحل على الارض وفي السماء وهو الذي يقيم الحاكم ويعزل المأمور ويوظف الخامل ويرقي الجاهل ويعاكس الفاضل ويقاتل العامل وهو الذي يضع يده على مال اليتيم ودرهم الفقير ورزق الارملة وهو الذي يتكبر ويتعجرف وينم ويكذب وبالاجمال فهو في البلاد السورية القوة الحاكمة والرئيس المطلق

— وكيف يستأثر بمثل هذه السلطة في بلادكم وهو هنا على غير ذلك فهو منقطع عن الشعب الا بالامور الدينية يبث بين الرعية روح الالفة والمحبة الاخوية ويصرف ما يملك

على الاعمال الخيرية عالم عامل وتقي فاضل وترى الشعب يحترمه ويحبه ويجله ويكرمه

— ذلك لان ليس له نفوذ بالتداخل في احوال الشعب ولان الشعب مستقل عنه الا في الكنيسة اما في بلادنا السورية فهو يدرك انحطاط الشعب ويعمل على ابقائه منحطاً بواسطة تعاليمه الفاسدة لتسلم له السلطة والنفوذ وربما كان لقوة ثانية تواطوء مع الاكليروس للعمل على انحطاط الشعب لاننا كثيراً ما نرى روءساءه وكباره يبيعون حقوق الشعب وامتيازاته بل يبيعون ذواتهم بقطعة من معدن او ذهب يسمونها وساماً ويفضلونها على تلك الهبة الالهية السامية التي تدعى ضميراً

اذكر مرةً لما كنت في بيروت انه حصل خصام بين بعض اشقياء المسلمين والنصارى انجلى عن مقتل بضعة اشخاص من الفريقين فاهتمّ قناصل الدول بالامر وطلبوا بتشديد من الوالي ان يلقي القبض على الجانين ويعاقبهم ورفعوا اخبار الحادثة الى سفرائهم في الاستانة وطلبوا منهم بالحاح وخصوصاً القنصل الافرنسي عزل ذاك الوالي لان مثل هذه الحوادث كانت تتكرر في مدة توليه فذهب السفراء الى وزارة الخارجية وعرضوا واقعة الحال وطلبوا عزل الوالي فسألتهم الوزارة التريث قليلاً لبينما تستطلع حقيقة الامر وكتبت الى الوالي بذلك فارسل هذا في الحال واستدعى روءساء الاديان وطلب اليهم ان يمضوا عريضةً

كان اعدهـا لهم مآلها ان الامن مستتب والراحة موجودة ووعدهم بالرتب والنياشين لقاء خيانتهم هذه فلبوا طلبه للحـال وارسلت العريضة الى الاستانة وحينئذٍ استدعت النظارة الخارجية السفراء واطلعتهم على العريضـة فخرجوا وهم لا يدرون ماذا يقولون غير توجيه اللوم الى قناصلهم وقد ارسل السفير الافرنسي الى حكومته يطلب اليهـا عزل القنصل في بيروت لتلبيسه ومكره فاجابت الحكومة طلبه وانتهت المسألة بعزل القنصل المذكور ولم يمض ِعلى هذه الحادثة الا الوقت القصير حتى صـدرت الارادة السنيـة بتقديم نياشين لبعض رؤساء الاديان فتقلدوها على صدورهم وافتخروا بما كان جزآء الخيانة والرياء

هذه هي حالة رجال الدين وبمثل هذه الضمائر يحافظون على حقوق الشعب ومصالحه

— ألهذا الحد من الجور والفساد وصل رؤساء الدين في بلادكم . قال المستر هورد ؟

— نعم هذا قليـل من كثير مما لو قصدت سرده لكم لاوردت ما يملأ المجلدات الضخام

— وانت تريد ان تقف ذاتك لاصلاح هذا الخلل ؟

— نعم لان ذلك ليس بالامر المستحيـل اذ ان روح الاصلاح قد سرى في عروق عدد وافر من الامة وبفضـل المهاجرة والجرائد الصادقة الحرة قد صرنا قريبين من الاصلاح

اذ ان المهاجرة قد اكسبت شعبنا فوائد جديدة وخلقتهم باخلاق حيدة والجرائد الصادقة تمهد لنا في كل يوم سبل الارتقاء والنجاح وتنشر على صفحاتها مبادىء التقدم والفلاح حتى صار معظمنا يميل الى الاصلاح وانا اتيقن انه اذا دامت هذه الحال بضع عشرات من السنين نتوصل الى ما نرغب ويصبح لبناننا فردوساً ارضياً يرفرف فوقه النجاح

— اذاً تسعى لاصلاح وطنك فنعم القصد والغاية

— نعم انا اسعى لذلك وهذا لا يتمّ الاّ بخمسة امور جوهرية وهي

١ً فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية فصلاً فعلياً

٢ً ضبط جميع املاك الاكليروس وتعيين قيمة تكفي لاحتياجاتهم الخصوصية فقط والانتفاع بما يبقى من تلك الثروة الطائلة بانشاء المشاريع العمومية كالمدارس الوطنية والمكاتب والمستشفيات وغير ذلك مما يصلح حالة الجبل

٣ً منعهم عن التعليم في المدارس سواء كانت داخلية ام خارجية

٤ً وجوب انتقاء كهنة فضلاء وعلماء لخدمة الرعايا

٥ً وجوب تزويج كهنة الرعية وحصر المتبتلين منهم ضمن جدران الدير فقط

فمتى تمت هذه الشروط الرئيسية في الهيئة الاكليريكية

يتمحن الشعب من الابتداء بالترقي في معارج النجاح والتقدم الحقيقين

— وهل تظن ان ذلك يكون ميسورًا ؟

— اظن انه ليس بالامر البعيد المنال انما يقتضي التأني والصبر والحزم وفوق ذلك يستلزم السعي الدائم والتعاون والتكاتف والتعاضد بين جميع المصلحين الذين وان تشعبت بهم طرق الاصلاح فانما يجمعهم المبدأ الواحد الجوهري

— وهل هذا الروح يسري بعقول كثير من شبانكم ؟

— اظن انه يسري قليلاً قليلاً بعقول اربعين او خمسين في المائة من المهاجرين وهذا العدد كافٍ اذا تعاضد مع اصحاب الجرائد الذين ندعوهم قادة الرأي العام في اظهار هذه الحركة الفكرية

— احب ان اتأكد حقيقة مبدأك فقد قلت لي انه باصلاح الهيئة الاكليريكية تصطلح الرعية ولم تبين مفصلاً كيف ذلك

— قلت لكم ان المدارس هي بيد الاكليروس فالاحداث في هذه الحالة يتعلمون التعاليم الموافقة لروح هذه الطغمة. اي انهم يتعلمون الطاعة العمياء والانقياد والذل واستصغار النفس واحتقارها وما شاكل ذلك من التعاليم الموضوعة للذين يقصدون الانخراط في السلك الاكليريكي والانفراد عن العالم وليس

الذين يجدون ويكدون ويسعون ليكونوا اعضاء عاملين في الامة وما زلنا مشتتي الكلمة ومتشمبي اللحمة الوطنية ومتفرقي المنازع فكيف نرجو ان نصير امةً مستقلةً تنتظر ان يكون لها في مقبل الزمن مستقبل مجيد مخبوء سيكشفه ابناء الاجيال المقبلة من احفادنا وما زالت خيرات املاكنا وغلال اراضينا وتعب شعبنا ومال اراملنا وايتامنا كله يذهب الى كيس الراهب وبيت الكاهن وخزينة الدير كيف نرجو ان ننشط من ربقة الذل والظلم والحيف ونحن بحالتنا هذه نكاد لا تقدر ان تقوم باود نفوسنا واود عيالنا وما زال حكامنا آلة للمفاسد بيد كهنتنا وظلامنا متآمرين مع قسوسنا كيف نؤمل ان ينفجر بيننا نور العدل والحرية ويضيء شعاع الادب والعلم

فاصلاح حالنا متوقف على اصلاح شباننا واصلاح شباننا يكون باصلاح مدارسنا واصلاح مدارسنا لا يتم الا بنزعها من ايدي كهنتنا

فبهت الجميع عند سماعهم هذا الكلام وتعجبوا من قوة عارضة ادمون وتأملوا في اقواله السديدة وارائه المصيبة حتى خرق المستر هورد حجاب سكوتهم وقال·

— ان كان هذا ما تسعى اليه فان قصدك الشريف ومبدأك الحسن يوجبان عليَّ مساعدتك وانا اعدك بان اقدم لك كل ما يلزمك من المال لذلك وعليه اسألك الآن باسم الحرية

واستحلفك بالعدل والفضيلة ان تقبل المال القليل المعروض عليك لتباشر اظهار مبادئك وبثها بين قومك في الحال ولا تظن ان هذا المال هو جائزة لك على اتقاذك فلورات فقد تيقنت الآن ان من كانت هذه مبادئه لا يمكن ان يكافأ بالمال اما تلك المكافأة فنبقيها الى وقت آخر حتى نكون نظرنا في امر اجابة طلبك

— لا اعلم باي لسان اشكرك ولا باي كلمة اقابل فضلك وانا اعدك وعد الشرف بان اصرف المال الذي تتكرم به في سبيل الاصلاح فقط وعسى ان بعض ابناء ذاك الانسان الذي هلك بطغيان الحية وغش الامرأه يتحررون الآن من ربقة الظلم بواسطة حية وامرأة

— لا سبيل الى الثناء ولا محل الى الشكر قال المستر هورد. لانني لا افعل الا ما يجب عليَّ فعله لان الله اعطاني المال ليس لاخزنه او انفقه جزافاً في طرق غير مفيدة بل لاساعد به اخواني في الانسانية ورفاقي في البشرية وانا اعلم بان فضول المال ذاهبة جزافاً

كماء صب في كأس دهاقِ

وما نفع الدراهم مع جهولٍ

يباع بدرهمٍ يوم النفاقِ

فخذ هذا المال الآن وباشر منذ الغد باتمام عزمك وعسى

انا في الوقت القريب نتفق معك على كل ما يرضيك

— ولا تنسَ ان تنطق الحية قالت مركاريت ضاحكة • بعد ان لحظت رضى زوجها بقبول ادمون في بيته

- كلا• لا انسى ذلك مولاتي وعسى ان الله يقـدرني على ذلك في فرصة قريبة قال ذلك واستأذنهم بالذهاب تاركاً لهم من ذكائه وظرفه ولطفه ما يتحدثون به لوقت طويل

{ الفصل الخامس }

— حادثة بيروت وخيانة الضمير —

لم تكد تشرق شمس اليوم الثاني حتى خرجت فلورات كعادتها من القصر الى قرب النبع لتلتقي بحبيبها ادمون فوجدته بانتظارها هناك قرب الماء حسب العادة وكان اول ما سألته اياه ان يفيدها كيف يقدر ان يتمم اقتراح والدتهـا وينطق تلك الحية فقال •

— ان هذا وان يكن امرًا مستغربًا وحادثًا غير اعتيادي فانني مع ذلك قادر على اتمامه ان كنت احصل على مساعدتك

— مساعدتي انا وكيف ذلك

- ذلك ان لي صديقاً في نيويورك يبيع جميع انواع الفونغراف وهو مخلص لي واقدر ان أأتمنه على السر فسأكتب اليه ان يحضر هنا ومتى جاء اطلب منه ان يضع لنا في جوف الحية آلة صغيرة نحملها ما نرغب من الكلام ونمد شريطاً على الجذع تحت الحية الى آخر الطاولة فنصله هناك بقوة كهربائية اما انتِ فتجلسين بقرب الطاولة واي وقت طلبت امك انطاق الحية اضغطي على الزر بقدمك ·

— حقاً ان هذا وان يكن مدهشاً فليس بالامر العسير

— كلا · ليس فيه شيء مستصعب

— وماذا تريد مني ان اصنع الآن ؟

— اريد ان تأخذي الحية من البيت وتحفظيها في محل المحنطات لاجل انتظار جواب صديقي الذي سأكتب اليه في هذا المساء

- حسن هذا وسأتممه عند رجوعي الى البيت · والآن خذ هذه نمرة محل المحنطات الذي ساضع الحية فيه واوصي اصحابه بان يسمحوا لك بعمل ما تريد وبعد ان جلسا مدة رجعت مسرعة نحو المدينة · اما هو فوقف في مكانه حتى توارت عن نظره ثم توجه الى غرفته وجلس على مكتبه يكتب ما يلي ·

الى نومره ٨ شارع وشنطون · مدينة نيويورك ·

صديقي العزيز الخواجه ابرهيم مقصود

بما انني اعرفك الوكيل الوحيد لمعامل كولومبيا واديسون التي تصطنع الفونوغراف وتستجلب ايضاً جميع ادوار الغناء وكنت الآن بحاجة الى آلة من اصغر ما صنع مع اسطوانة فارغة لها فارجوك الحضور عند وصول تحريري هذا اليك مع الآلة والاسطوانة واني لك من الشاكرين صديقك المخلص

ادمون

وفي صبيحة الغد قام ادمون باكرًا وذهب الى محطة السكة الحديدية لانتظار صديقه وما كاد يقف القطار حتى رأى صديقه آتياً فاستقبله بكل لطف واطلعه على قصده فتعجب الصديق من هذا الفكر وذهب الاثنان الى محل التحنيط

وعند وصولهما دفع ادمون الى صاحب المعمل ورقة فلورات وطلب منه ان يخلي لهما غرفة وقتاً قصيرًا فادخلهما هذا الى الغرفة الموضوعة فيها الحية وانصرف

وبعد ان تم وضع الآلة الناطقة في جوف الحية وتجهيز الاسطوانة بما يجب ان يقال خرج الاثنان واخبرا صاحب المعمل عن انتهاء عملهما وذهبا الى غرفة ادمون حيث استفهم بتدقيق كيف يجب ان يركب الشريط الكهربائي الموصل من جوف الحية الى الارض ويغطى بالطنافس . وبعد ذلك ودع ادمون صديقه الذي عاد الى نيويورك

اما ادمون فانه بقي كل ذلك النهـار يتأمل في حاله وفي الخطة التي يجب ان يسير عليها الى ان قاربت الشمس المغيب حينئذٍ قام الى طاولة في غرفته واخذ من احد جواريرها بولاداً من بواليد يوسف بك كرم الشهيرة التي تصنع خاصة لحساب الخواجات دانيال فاعور واخوانه في نومره ٦٣ شارع وشنطون في مدينة نيويورك والتي نالت شهرةً ورواجاً لم تنلهـا بواليد قبلها لحلق بكل سرعة ونظافة وتطيب بكالون يوسف بك كرم الذي يصنع ايضاً لحساب المحل المذكور والذي لا مثيل له بين انواع الطيوب ولبس انطف ما لديه من الثياب وذهب الى بيت المستر هورد اخذاً معـه الشريط الكهربائي الذي يجب ان يركب في جوف الحية ويمد على الارض · ولما وصل استقبلته فلورات في الدار الخارجية حيث كانت هناك وذهبت به مسرعة الى ردهة الاستقبال لاكتشاف ما قد اجراه في ذلك النهـار قبل حضور والديها اللذين كانا قد ذهبـا للنزهة · ولما خلا العاشقين المكان قالت فلورات ·

— هل نجحت مساعيك وتم الامر على ما تريد ؟

— نعم ان صديقي قد حضر من نيويورك وذهبت واياه لى محل التحنيط فوضعنا الآلة في جوف الحية بعد ان علقنا على الاسطوانة الكلام اللازم والآن قد احضرت الاسلاك الكهربائية المعدة لتمد من جوف الحية الى الارض · فلنستغنم فرصة غياب

والديك لتركيبها . قال ذلك واخرج من جيبه شريطاً يبلغ طوله اليردين واخذ يلفه على قوائم الطاولة حتى اوصله الى الارض . ثم وضع تحت الطنافس الثمينة زرًا صغيرًا وصل الشريط به واوصى فلورات التي كانت تراقب كل ذلك وتنظر الى حبيبها نظرة الاعجاب والحب بان تعتني بايصال الطرف الثاني من الشريط بالطرف الموجود في جوف الحية حتى تتصل المجاري ببعضها فيصير اقل ضغط على الزر الموجود تحت الطنافس يدير الآلة فيخرج من جوف الحية الكلام الذي ارادت مركاريت ان تسمعه. اما فلورات التي كان اهتمامها للامر كبيرًا فانها وضعت في الحال كرسياً صغيرًا فوق الزر حذرًا من ان يدوسه احد صدفة قبل الوقت المعين فتفوت الغاية المقصودة

وبعد ان اتم ادمون عمله هذا ودع حبيبته وخرج من القصر قبل رجوع والديها واعدًا بانه يعود في مساء اليوم الثاني لاتمام مقصده . اما هي فبعد ان شيعته الى فناء الدار الخارجي عادت الى قاعة الاكل تنتظر رجوع والديها ولم يمضِ الا القليل حتى عاد المستر هورد وامرأته فجلس الثلاثة يتحدثون عما سيكون مستقبل فلورات وعما اذا كان ادمون اهلاً لان يكون لها زوجاً

﴿ الفصل السادس ﴾

— الخطبة —

لم يمضِ بضعة ايام على الحوادث التي ذكرناها حتى ظهرت جرائد مونتكلير معلنة خطبة ادمون على الآنسة هورد وذاكرة في ذات الوقت عن الحادثة الغريبة التي اجراها ادمون في انطاق الحية . وتفصيل ذلك انه في اليوم الثاني من زيارة ادمون بيت المستر هورد وترتيبه المجاري الكهربائية ذهبت فلورات واتت بالحية من محل التصبير وبعد ان وضعتها على الجذع المقام بقرب الطاولة اوصلت المجاري الكهربائيه ببعضها واعادت الهيئة كما كانت قبلاً . وفي المساء حضر ادمون واخبر مركاريت عن استمداده لاجابة طلبها وانطاق الحية فتعجبت هذه كيف انه لا يزال مستعدًا لأتيان هذا الامر المستغرب وارادت ان يكون كل هذا بحضور بعض اصدقائها لان الاثنين هي والمسترهورد كانا قد اتفقا على اجابة طلب ادمون وقبول خطبته لفلورات لما ظهر لهما من صحة مبادئه وغزارة ادبه وعلمه . واذ تقرر كل ذلك عين وقت الخطبة في مساء اليوم الثاني وارسل المستر هورد اوراق الدعوة الى خلص اصدقائه وكذلك فلورات فانها اذاعت الخبر بين اترابها ودعتهنَّ الى حضور الحفلة وفي

الوقت المعين غصت الدار بالمدعوين وبعد ان تكامل عقد الاجتماع في تلك الردهة التي كانت مفروشة بافخر الرياش ومرتبة على ابدع نظام وألطف ذوق وقفت مركاريت وقدمت ادمون امام الحضور واخبرت عن حادثة تلك الحية الهائلة التي كانت مغطاة مع الطاولة بغطاء من المخمل واشارت الى فلورات الجالسة بقربها ان ترفع الغطاء لينظر القوم الى ذلك المنظر الهائل والخطر المخيف الذي كان محدقاً بفلورات ففعلت هذه حسب اشارة والدتها وحالما وقعت انظار الحضور على الحية الهائلة اضطربوا كلهم من الخوف والتعجب وتقدموا نحو ادمون يشكرون بسالته واقدامه ويهنئون المستر هورد وعائلته بسلامة فلورات . وبعد ان عادت السكينة الى المكان قالت مركاريت وفوق ذلك فان صديقنا المستر ادمون يريد ان يجري مسألة خارقة العادة وهو ان ينطق هذه الحية البالية لتشهد بوجوب اقترانه بابنتنا فلورات

فبهت الحضور عند هذا الكلام وصاروا يتساءلون عما هو المقصود منه لانه لم يخطر ببال احد منهم ان مركاريت تطلب هذا الطلب وان ادمون يكون له من الفطنة الوقادة ما يهون عليه هذا الامر واذ لحظ المستر هورد اندهالهم من ذلك اكد لهم حقيقة الامر وسأل ادمون ان يقوم بوعده

حينئذ وقف ادمون في وسط القاعة فتوجهت نحوه

الانتظار وساد السكوت بين الحضور فنظر الى الحية وقال ·

,, اقسم عليكِ باسم مدير الاكوان وخالق الانسان ومبدع الاشياء من العدم ان تنطقي بالصواب وتبيني لهذه العائلة الكريمة وهؤلاء الكرام الحاضرين اذا كنت استحق ان اطلب يد الآنسة فلورات هورد واكون لها زوجاً ''

ولم يكد ادمون يتم كلامه حتى كانت فلورات ضغطت على الزرّ الذي هو تحت قدميها فسمع صوت خارج من فم الحية يقول·

,, ان الشجاعة التي ابداها ادمون في تخليص فلورات هي نادرة بين الرجال ولولاه كنت نفثت سمومي القتالة في جسم هذه الفتاة فتصبح جسداً هامداً فاكبر مكافأة له على جرأته واقدامه هي عقد اكليله عليها ولا يزول الخطر عنها الا بهذا واني سوف لا انطق بعد هذا بشيء ''

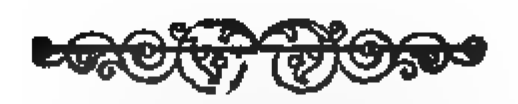
وما كاد ينقطع الصوت حتى بدت علائم الاعجاب والاندهال على وجوه الجميع وتحيروا من هذا الامر ولم يعلموا ماذا يقولون

حينئذٍ قام المستر هورد وتقدم نحو ادمون الذي كان قد عاد الى موضعه بكل هدوء وسكينة وامسكه من يده قائلاً ·

انت منذ الآن ولدي العزيز وها يد فلورات مبسوطة لاقتبال يدك·قال ذلك واشار الى مركاريت بان تتقدم بفلورات

الى وسط القاعة حيث كان تقدم هو ايضاً ومعه ادمون فوقف الحبيبان متقابلين واخذ المستر هورد يديهما فتصافحا ورفع يديه فوق رأسيهما مباركاً حينئذٍ تقدم الحضور كل بمفرده يصافح الخطيبين ويهنئهما راجياً لهما قراناً قريباً مباركاً

وبعد ان قضى المدعوون القسم الأكبر من الليل قاموا الى قاعة الطعام حيث مدت لهم مأدبة حوت من لذيذ المآكل وفاخر المشروب ما لا يعرفه الا الاغنياء وبعد العشاء وزعت على السيدات السكاير المصنوعة خاصة للجنس اللطيف في محل الخواجات اوساني وشركائه في نومره ٦٦ شارع نيو في مدينة نيويورك وكذلك قدم للرجال من السكاير الملوكية صنع المعمل المذكور . وفي اواخر الليل انصرف المدعوون وهم يرددون عبارات التبريك والدعاء للخطيبين



ـ﴿ الفصل السابع ﴾ـ

(المكيدة)

وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

بينما كان ادمون يهتم بامر مستقبله ويقضي مع حبيبته ايام الخطبة الجميلة ومركاريت وزوجها يستعدان للفرح بابنتهما والجرائد تذكر من حين الى آخر ما تشاء عن هذين الخطيبين والناس بين مستصوب اراء المستر هورد وخطة ادمون وبين مفندين يتقولون كما يشأون كان الى الجهة الشمالية من المدينة كوخ حقير تقيم فيه امرأة شمطاء وابنة لها في نحو العشرين من العمر كثيرة المكر والدهاء مع مسحة من الجمال ولا شيء من طيب الخلال ولا حميد الخصال • هذه الفتاة كانت قد وقعت بهوى ادمون وهو لا يظهر الا اعراضاً ومالت بكليتها اليه وهو لا يقابل ميلها الا بالنفور • فلما عرفت بخطبته صعب عليها الامر وهالها وقعه وجاءت الى والدتها باكية شاكية فاخذت تسكنها ووعدتها خيرًا وذهبت في الحال الى كاهن كانت قد رأت ادمون عنده لاول مرة بعد ان كان من قبل يتردد اليه

ويحادثه في مبادئه الاصلاحيـة التي جعلت الكاهن ينفر من ادمون ويجفوه مضمرًا له الشر وكان لتلك المرأة عليـه دالة فابلغته الواقع وتنهدت وكشفت له عن صدر طالما ثارت فيـه المعاصي وبكت فاثرت دموعها وتنهداتها في قلب الكاهن الذي هوّن لديها الامر ووعدها ببذل الجهد لبلوغ القصد وبعد ان اختليا في الغرفة مدة خلوة العاشق مع معشوقته

وكان ما كان مما لست اذكره

فظن خيرًا ولا تسأل عن الخبر

ذهبت من عنده ضاحكة مسرورة تنقل الى ابنتهـا الوعد وتبشرها بنيل المرام وبلوغ الارب · اما الكاهن فانه بعد ذهابها من حضرته اخذ يفكر بهذا الامر وخاف من عاقبته اذ تأكد انه اذا تيسر لادمون ان يحصل على شيء من المال مع مساعدة المستر هورد فانه ولا شك ينفق ذلك المال والنفوذ في سبيل بث مبادئه الاصلاحية بين مواطنيـه وبذلك من الضرر على سلطته ما لا يريد وقوعه فضلاً عن انه اذا قدر على احبـاط مساعيه يكون قد خدم معشوقته خدمة كبيرة وللحال قام الى مكتبه وكتب الى ادمون ما يأتي·

„ ولدي الروحي العزيز

يعلم الله كم اود نجاحك وترقيك وانك وان تكن قد اظهرت مرات كثيرة العصيان والمخالفة لاوامري وشردت عن طاعتي ·

الموصي بها من الله وتعاليمي المأخوذة عن تعليم الكنيسة العظمى التي هي في عصمة عن الغلط فان هذا لا يمنع من ان اعتبرك كاحد ابنائي الروحيين بل يضاعف فيَّ الميل الى مودتك وارشادك الى سبل الحق وطرق العدل اذ انني من اجل هذا قد وجدت في هذه البلاد ولا فضل لي اذا احببت من يطيعني بل الفضل اذ سعيت بتقريب البعيدين عني وهذا من تعاليم مخلصنا القائل٠ ,, واي فضل لكم ان انتم احببتم من يحبكم "٠ والقائل ايضاً ,, حبوا مبغضيكم وباركوا لاعنيكم " الى آخر ما هنالك من الاقوال التي لا تصدر الا من اله متناهٍ بالعظمة والجلال٠ واذ كنت قد عرفت بخطبتك على الآنسة فلورات هورد وكنت اعرف اموراً كثيرة عنها واتيقن عدم موافقتها لك من كل الاوجه لذا انصحك بالعدول عن عزمك هذا او التأني بالامر الى ان تنقشع لك الحقيقة فتعلم اذ ذاك اني لك الصديق المخلص والوالد الروحي "

بركات

وبعد ان اتم تحريره هذا واعاد عليه النظر اخذ ورقة ثانية وكتب ما يلي ٠

,, الى الآنسة الشريفة فلورات هورد

لما كانت واجباتي الروحية تقضي عليَّ بمساعدة القريب والبعيد وكنت قد قرأت في بعض الصحف السيارة عن خطبتك

الى الخواجه ادمون الذي هو احد ابناء طائفتي وانا اعلم الناس بغزارة ادبكِ وزيادة فضلك وعلمك واتساع ثروتك واعرفهم بخفايا ادمون وشروره ونقائصه وغروره جئت ابين لك الغلط الذي وقع بحدوث هذه الخطبة والضرر العظيم الذي يتأتى فيما لو تم عقد الزواج لانني عالم بان ادمون لم يقدم على طلب يدك الا طمعاً بالمال الذي اذا تيسر له احرازه تنقلب تلك المودة الظاهرة منه الى جفاء وذاك الميل الى بغضاء وعلى كل حال انت مخيرة بقبول نصيحتي او رفضها ولك الرأي في ما تشائين

الداعي الاب بركات

وبعد ان ختم التحريرين المذكورين خرج من غرفته وذهب الى ادارة البريد فطرحهما وعاد مارًا ببيت معشوقته فاطلعها على ما صنع وقضى عندها الشطر الاكبر من الليل وعاد الى غرفته

وفي صباح اليوم الثاني بينما كانت فلورات تتمشى في حديقة القصر وهي سابحة في فضاء الفكر تتأمل بمالك قلبها وتعد الايام والساعات لتنضم اليه ضماً شرعياً واذا بموزع البريد ينقل اليها تحريرًا فاخذته منه بيد مرتجفة وظنت انه من حبيبها ادمون على انها ما كادت تفرغ من قراءته حتى تغيرت ملامح وجهها وظهرت عليها ادلة الاضطراب فعاودت قراءته ثانياً وثالثاً وفي كل مرة كانت تتزايد فيها الاضطرابات اخيرًا طوته

ووضعته في جيبها وصعدت الى غرفتها كئيبة حائرة

في الوقت الذي كانت فلورات تتأمل في التحرير كان ادمون يقرأ كتابه وهو تارة يميل الى الاعتقاد بصفاء نية الاب المشار اليه ويذكر تارة ان وجود الرتبة الاكليريكية في شخص فاسد المبادىء من الاصل لا يجعله صالحاً وربما زاده فساداً وافساداً . اخيراً عزم على ان يزور الاب ويذاكره بهذا الخصوص لعله متى تقابل الناظران يكشف من سرائر القلب فوق ما تكشف الاخبار

والعين تبدي الذي في عين صاحبها

ان كان من حزبها او من اعاديها

فقام لساعته وذهب الى بيت الكاهن فاستقبله هذا بكل لطف وبشاشة وقال له اشكر الله اذ قد عدت الى صوابك واتيت لزيارتي

— ان لانقطاعي عن زيارتك في الماضي سبباً لا محل لبيانه الآن وانا لست آتياً الا لابحث معك بشأن تحريرك الذي وصلني في هذا الصباح والذي لم اقدر على فهم فحواه

— لا شيء فيه من المعميات التي تخفى على شاب نظيرك

— قد ذكرت لي بتحريرك اجاب ادمون بانك تعرف اشياء كثيرة عن الآنسة فلورات هورد التي اصبحت خطيبتي فهل لك ان تفيدني عن تلك الاشياء

– انا اعلم بان فلورات هي غير موافقة لك من اوجه كثيرة وانا اكرر لك القول بعدم التسرع وعسى ان تتحقق بالوقت القريب اخلاصي لك وتعلم انني على تغبر ما متقد

. ماذا يضرك يا ابتِ اذا كنت تفصح لي عما تعرفه عنها وتريحني من هذه الافكار التي لا طاقة لي على احتمالها

– هذا مما يتجاوز حدود واجباتي قال الاب ببرودة فقد كنت لوقت طويل معلم اعتراف فلورات واخشى اذا افشيت شيئاً من اسرارها ان اكون قد خالفت قوانين سر الاعتراف

فاضطرب ادمون لهذا الكلام وزادت حيلة الاب عليه انطلاء وقال .

– وكيف لي اذاً ان اعرف هذه الاسرار ؟

– قلت لك ان تتأنى بالامر ولا يغرك الجمال الزائل والمال الفاني وانت اليوم اقدر على معرفة حقيقة فلورات من ذي قبل اذ ان معاشرتها مباحة لك الان وهذا يسهل وصولك الى حقيقة امرها

فسكت ادمون عند هذا الكلام واستأذن الاب منصرفاً وهو يتأمل بهذه الحوادث وكيف يجد لنفسه منها مخرجاً

﴿ الفصل الثامن ﴾

— مكر النساء —

كانت فلورات قد قضت نهارها منزعجة من قراءة ذلك التحرير وهي لا تدري كيف تفسر معناه الى ان وافى المساء فتنبهت لدخول احد الخدم معلناً قدوم ادمون فخرجت الى ردهة الاستقبال حيث كان هو بانتظارها فجلس الاثنان وفي قلب كل منهما من الكدر والانزعاج ما تشير اليه الظواهر وبعد قليل دخل المستر هورد ومركاريت فخفف دخولها الاضطراب الذي كان سائداً على الحبيبين وجلس الاربعة يتحدثون الى نحو الساعة العاشرة من الليل حينئذٍ انصرف ادمون بعد ان طلب من المستر هورد ان يأذن له بالذهاب مع فلورات الى النزهة في اليوم التالي فاجاب هذا طلبه وفي الوقت المعين حضر ادمون فوجد خطيبته بانتظاره في الحديقة فامسك يدها وخرج الاثنان يتمشيان في اسواق المدينة ويتجاذبان الحديث وكأن وجودهما سوية قد انسى كلاً منهما تحريره وما زالا كذلك حتى وصلا الى حديقة في وسط المدينة وكان الهواء لطيفاً والطقس جيلاً فدخلاها وهي غاصة بالمتنزهين فجلسا على مقعد في ظل شجرة كبيرة

. . . . .

كان الاب بركات بعد ان ذهب ادمون من عنده توجه الى بيت معشوقتـه واخبرها عن كل ما توقع له مع ادمون وكيف انه ذهب من عنده وهو قلق الافكار مضطرب البال وطلب اليها ان تسعى لمراقبة ادمون وفلورات كلما خرجا سوية وتحـاول التعرض لهما ولو مهما كان في ذلك من الصعوبة وهكذا فانها بعد ان كانت ترجو ان تنال بغيتهـا عن يد الاب بركات اصبح هذا يستخدمها لنيل بغيته التي تتفق مع مقصدها في الاصل

فقامت هذه المرأة بوظيفتها خير قيام ونهضت من صباح اليوم الثاني لمراقبة الخطيبين حتى اذا خرجا من باب القصر وسارا تبعتهما عن بعد الى ان دخلا الحديقة وجلسا فتقدمت منهما ومالت نحو ادمون قائلة ٠

— قد كنت اتوقع ايهـا الشاب ان يكون لك شهامة وادب فوق ما اظهرت فانك بعد ان عاشرت ابنتي واحتلت عليها لأخذ مالها تركتها الان وسعيت للحصول على غنيمـة ثانية ولكن الله الذي يجازي الظالمين قد اوقعك بيد هذه الفتاة التي اقل ما يقال فيها انها تعرف حنو الام وهي لا تزال في بيت والديها

فلم تكد تتمم هذا الحديث حتى قام ادمون من موضعه وقبل ان يتمكن من اجابتها بكلمـة صرخت صرخةً قوية

ووقعت على الارض فتراكض الناس على سماع الصوت ونظروا المرأة مطروحة على الارض وفي الجانب الثاني فلورات في حالة الاغماء على المقعد وادمون واقف بينهما لا يبدي حراكاً وهو مبهوت حائر

وكان في جملة الذين تراكضوا على الصوت وعلى لغط الناس احد انفار البوليس المحافظين في تلك الحديقة فتقدم نحو الامرأة الملقاة على الحضيض وحركها قليلاً ففتحت عينيها واذ ابصرته تنهدت فانهضها بين ذراعيه وسألها عن حالها فادعت ان ادمون قد لكمها على صدرها واهانها وان تلك المرأة التي معه ساعدته على ذلك · اما ادمون الذي كان قد نظر فلورات مغمياً عليها فانه ذهل عن كل ما حوله واخذ يحاول انعاش مالكة فؤاده فتقدم نحوه الشرطي وسأله باسم الحكومة ان يسلم ذاته بناء على ما ادعته عليه المرأة واذ لم يقدر هو على انعاش فلورات انبأ احد المستشفيات القريبة فارسلت منه عربة نقلت فلورات اليه واعلم الطبيب الذي فيه ان الفتاة هي في قبضة الحكومة ثم اقتاد ادمون والامرأة الى دائرة البوليس وهناك اخذ استنطاقهما وذهبت الامرأة على شرط ان تحضر في صبيحة الغد لاستماع دعواها · اما ادمون الذي طلبت منه كفالة للافراج عنه فانه ارسل في الحال نبأ الى المستر هورد يعلمه الواقع فحضر هذا بالحال وبعد ان عرف السبب وعرف

أين ابنته موجودة قدم الكفالة اللازمة عن الاثنين وذهب مع البوليس وادمون الى المستشفى لاخراج فلورات التي كانت قد روحت بالمنعشات حتى استفاقت ولكن هذا الاضطراب سبب لها حمى شديدة وضعفاً عاماً فطلب المستر هورد ان تنقل الى داره وتم ذلك بمساعدة بعض الاطباء وادمون

وفي اليوم الثاني كان موعد المحاكمة فحضر ادمون بالوقت المعين واناب المستر هورد عن ابنته محامياً بارعاً وحضرت المدعية فشرع بالمحاكمة ولم يكن الا القليل حتى ظهر افتراء المرأة وسقوط دعواها فتقدم حينئذٍ محامي فلورات وطلب من هيئة المحكمة ايقاف المدعية لانها اهانت موكلته اهانة فظيعة بنسبتها الى عدم الطهارة واذ تعذر عليها تقديم الكفالة سيقت الى محل التوقيف وضرب موعد المحاكمة . ولما كان الوقت المعين حضر جمهور غفير غير ان المحكمة اعلنت وجوب المحاكمة السرية فاخرج كل من في القاعة واذ ذاك سيقت كلارا الى امام القاضي الذي طلب منها اما المدافعة عن نفسها في ما اتهمت به فلورات او تكذيب مدعاها وطلب الصفح فبقيت مصرة على زعمها وطلبت من المدعي العمومي ان يأمر بفحص فلورات فحصاً طبياً حتى اذا وجدت على غير ما تقول كان للقضاة ان يحكموا عليها حسب منطوق القانون فاجابت المحكمة طلبها وعينت اليوم الثاني ميعاداً لاجراء الفحص الطبي وابلغ المحامي عن فلورات الامر

﴿ الفصل التاسع ﴾

— ابلاغ الحكم —

كانت الغرفة التي تشغلها فلورات في الطبقة الثانية من القصر وكانت مطلة على الحديقة المنبسطة امامها باشجارها وازهارها الجميلة والتحف الثمينة تزين تلك البقعة الانيقة وكانت الشمس قد مالت نحو سلطتها الليلية واستعدت ان تنيب عنها شقيقها ملك الليل للمحافظة على تلك الغياض وكانت فلورات بعد الصدمة التي لقيتها في المدة الاخيرة قد ذبل محياها الوضاح وخط الضعف فوق جبينها رسوماً وهي ملقاة على كرسي كبير امام النافذة تسرح نظرها على تلك البطاح وتطير بالفكر نحو حبيبها ادمون معللة النفس بزوال الأكدار والاتراح وقرب السرور والافراح وفيما هي كذلك كان المحامي قد حضر مع والدها وادمون الى الدار واخبرت مركاريت عما آلت اليه الدعوى وما هو القرار

فذعرت مركاريت لسماع هذه القصة وتعجبت كيف ان فلورات التي كانت دائماً عنوان الفضيلة والطهارة تتوصل تقولات الناس عنها الى مثل هذا الحد ويطلب اثبات طهارتها بواسطة اطباء يشهدون بذلك وحارت كيف يمكن ان تخبر

ابنتها بهذا الحكم وهي على ما هي عليه من الضعف والوهن

اما ادمون الذي كان لذاك الوقت لا يبدي رأياً فانه خاطب المحامي قائلاً ·

بما ان الآنسة فلورات هي مخطوبة لي وانا وحدي المسؤول عن طهارتها فدع الناس يتقولون ما يشاؤون ولا موجب لتحميلها الاهانة الى مثل هذا الحد

لكم ما تريدون قال المحامي على ان ذلك كان يجب ان يصرح به قبل وصول المسألة الى هذه الدرجة · اما الآن وقد صرنا الى ما صرنا اليه فلا بد من متابعة الدعوى لا سيما وانا مثلكم شديد الاعتقاد بطهارة فلورات

نعلم هذا قالت مركاريت ولكن الصعب هو كيف نبلغها هذا القرار وكيف نقدر على اقناعها لاتمامه

عليّ ذلك قال المحامي فانني اعرف كيف اقول لها ان سمحتم لي بالاختلاء معها بضع دقائق · لك ما تريد اجاب المستر هورد ومركاريت تتكفل بايصالك الى غرفتها

فتقدمت هذه وتبعها المحامي الى غرفة فلورات في الطابق الثاني وبقي المستر هورد وادمون في ردهة الاستقبال يفكران بهذا الامر

فلما دخل المحامي غرفة فلورات نهضت قليلاً عن كرسيها ومدت يدها فتقدم نحوها باكرام وسألها عن حالها

حينئذٍ مالت مركاريت نحو ابنتها وقالت لها ان صديقنا المستر لشمان (وهذا كان اسم المحامي) يريد ان يفيدك عما آلت اليه الدعوى فساترككما سوية. قالت هذا وخرجت من الغرفة

وكان المستر لشمان رجلاً في نحو الخمسين من العمر ذا هيبة ووقار وعلم واسع واطلاع كبير وكان صديقاً حميماً لعائلة المستر هورد فتأثر لحال فلورات وحار كيف يفاتحها بالحديث على انه اذ كان لا بد من ذلك اختار ارق العبارات وابدع التعابير واقوى الحجج والبراهين لمكاشفتها بالامر

فاجفلت هذه لكلامه وشخصت بعينيها نحوه قائلة.

— وهل لا مناص من ذلك؟

— لا سبيل الى التخلص من الامر الا اذا كنت ترضين ان يبقى صيت طهارتك معرضاً للشكوك وانا اغار على شرفك ان يوصم بمثل هذه الوصمة

فاطرقت فلورات برهةً الى الارض وجالت في عينيها دمعتان كبيرتان ثم رفعت رأسها وقد صبغ الحياء وجنتيها وتحدر الدمع فوق وجنتيها وقالت.

— ان كان لا بد من ذلك فلكم ما تريدون

فابرقت اسرة المستر لشمان لفوزه على حياء الابنة وقال. كنت لا اشك ابداً بغزارة ادبك وعظم طهارتك والان قد زاد بي اليقين وانا بسرور عظيم سابلغ خبر رضاك لهيئة

المحكمة واسألها ارسال الفاحصين . قال ذلك واستأذنها بالانصراف فحاولت الوقوف عند خروجه غير ان ضعفها حال دون ذلك فاعتذرت اليه وبقيت متكئة فوق كرسيها . اما هو فبعد ان خرج من غرفتها ومر بردهة الاستقبال مخبرًا عائلة المستر هورد بفوزه عاد منصرفًا الى بيته على ان يحضر في اليوم الثاني برفقة الطبيب

. . . . .

بعد خروج المستر لشمان من غرفة فلورات تنشطت هذه ونهضت من موضعها فلمست زرًا كهربائيًا موضوعًا في الحائط ولم يمضِ الا القليل حتى دخل عبد ووقف بالباب فقالت له

— قل لوالديّ ان يحضرا الى غرفتي

فانصرف هذا مسرعًا وعاد بعد قليل يتقدمه مركاريت وزوجها اللذان دخلا بلهفةغرفة وحيدتهما وتقدما نحوها فضماها الى صدريهما وجلسا بجانبها فمالت الابنة اليهما وقالت لا شك انكما عرفتما ما وقع لي مع المستر لشمان وانا اتمامًا لارادتكما ساحتمل هذا الامر على انني ارجو ان اكون منفردة في هذا المساء لأنني اشعر بتعب كلي وقد طلبت ان اراكما الان قليلاً فاعذراني لعدم مقدرتي على تقضية السهرة معكما وكذلك اذا حضر ادمون فاعتذرا عني اليه .

ان ادمون لا يزال في ردهة الاستقبال قال المستر هورد فاذا كنت تحبين ان تريه فتستدعيه في الحال

ـــ لا مانع من ذلك قالت فلورات وقد صبغ الحياء وجنتيها فاشار المستر هورد الى العبد الذي كان لا يزال واقفاً بالباب ان يستدعي ادمون وبعد قليل دخل هذا وحيا فلورات ببشاشة ولطف فتنهدت وتبسمت له ثم اشارت الى كرسي بجانبها فجلس وبقي الاربعة يتحدثون برهة من الزمن تمكنت فلورات في خلالها ان تمتع نظرها بمرأى احب الناس اليها

وبعد ان مكثوا عندها برهة اظهرت رغبتها في الانفراد فخرجوا من عندها مسرورين لما لاقوه من بشاشتها وسهولة الامر لديها

وهكذا ادمون فانه بعد ان ودع المستر هورد ومركاريت عاد الى غرفته وهو مطمئن البال لما رآه من سكون خاطر فلورات ٠



﴿ الفصل العاشر ﴾

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدمُ

مضى الهزيع الاول من الليل وساد السكون التام في دار المستر هورد واحتجب الخدم في غرفهم بعدان طافوا في انحاء تلك الدار الواسعة واطفأوا الانوار حتى لم يعد يسمع حس ولا حركة حينئذٍ قامت فلورات من سريرها واشعلت مصباحاً امام طاولة في غرفتها وجلست اليها تتأمل بحالها ثم اخذت ورقة وتصاعد الدم الى رأسها فالبس وجهها ثوباً ارجوانياً ومرت في مخيلتها كل الحوادث السابقة وتصورت في فكرها انها ملقاة بين يدي طبيب اجنبي يقوم بفحصها وان تقريره سيقراء على مسامع عدد غفير من الناس واخيراً ان الريبة بسمعتها قد وقعت وان شرف طهارتها الذي حافظت عليه بشهامة اصبح عرضة لتقولات الناس فهالتها هذه الاشياء وهان لديها الموت غير انها لم تكد تتصور وقوعه المريع وكيف انها تفارق والدة حنونا وابا رؤوفا وخطيباً محباً حتى اجفلت عند هذا الفكر وعادت فاستعذبت الحياة

وما زالت في تيار هذه الهواجس تستسهل الموت تارة

وتستعذب الحياة اخرى الى ان دقت الساعة الثانية بعد نصف الليل فتذكرت انها بمثل هذه الساعة من النهار ستضطر اما الى تسليم نفسها الى طبيب البلدية او الى الممانعة واحتمال شكوك الناس وتقولاتهم اذ يخال لهم وفي مقدمتهم ادمون ان تمنعها عن قبول الفحص لم يكن الا لامر مستور وكيف وهي عنوان الطهر وعزة النفس ترضى بمثل هذا الامر وتذكرت ان لا بد من الموت وان احبه ما يكون دفاعاً عن الصيت وتخلصا من فحص كهذا .

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تكون جبانا

فكتبت على الورقة التي امامها ما يلي

ان القضاة الظلام سترتجف اعضاؤهم تأسفًا وندمًا عندما يأمرون الطبيب ليجري الفحص الطبي على جثة هامدة ولعل تلك المرأة المحتالة تشعر بثقل الجريمة التي ارتكبتها في تهجمها على طهارتي وعسى ان والديَّ الحنونين وخطيبي الحزين يصادفون صبرًا على فراقي "

ثم وضعت الورقة على الطاولة وعمدت الى الضوء فاطفأته ومن ثم عادت ففتحت المجاري الغازية وسدت كل النوافذ والابواب سدًا محكماً وارتمت فوق السرير

. . . .

لم يكد ابولون اله الفجر يفتح بانامله الذهبية ابواب

الشرق ولم تكد تظهر طلائع الشمس سائقة امامها موءخرة جيش الظلام حتى خرجت مركاريت من غرفتها مسرعة لتفقد حال ابنتها وحالما وصلت الى امام الغرفة كاد يغمى عليها من الروائح الغازية المنبعثة منها فطرق فكرها الويل وصاحت صيحة اليأس ووقعت على الارض فنبه صراخها الخدم الذين تراكضوا يستطلعون دخيلة الامر وجاء المستر هورد مهرولاً فوجد مركاريت ملقاة على الارض امام غرفة فلورات التي كانت تنبعث منها تلك الروائح فعالجوا الباب حتى فتح وبادروا الى النوافذ ففتحوها ووجدوا المجاري الغازية مفتوحة وفلورات جثة هامدة فوق السرير وقد اكتسب وجهها لوناً بنفسجياً ونظروا على الطاولة ورقة فاخذها المستر هررد وقراء فيها اخر افكار ابنته حينئذٍ تبدلت افراح تلك الدار بالاكدار وطافت فيها مركاريت نائحة باكية واخذ المستر هورد يقرأ ويعيد ما كتبته ابنته وما تذكرته في اخر دقيقة من حياتها فطفرت دموعه الحرى وطار الخبر في كل انحاء المدينة فعم الحزن وزاد الاسف لما كان مشهوراً عن فلورات من اللطف والادب بين كل طبقات الشعب وتلقى ادمون خبر هذه الفاجعة وهو لا يزال في غرفته فطار صوابه وعظم لديه الامر وبكى وتحسر واصابته نوبة عصبية اعجزته عن النهوض فاستدعي اليه الطبيب الذي اضطر مداراة لحاله الى منعه عن الذهاب الى مأتم خطيبته

فاستتاب عمته عن نفسه لدى المستر هورد ومركاريت وفي ساعة المحاكمة حضر المحامي لشمان امام القضاة واعلن انتحار فلورات هرباً من الفحص وقراء ما كتبته في اخر ساعة من حياتها فاضطربوا لذلك واساؤا الظن بكلارا وطلب المستر لشمان اخذها تحت كفالة وان يجري الفحص على جثة فلورات . فاجيب طلبه وسئلت كلارا ان تقدم الكفالة اللازمة او ان تقر بحقيقة دعواها وتبين السبب الذي دفعها الى ذلك ووعدوها بتخفيف العقاب اذا اقرت فاغترت هذه بمواعيد القضاة وخشيت ان يكون اقل قصاص لها الموت فيما اذا اصرت وتم الفحص على الجثة وثبتت براءة فلورات فاعترفت بكل شيء وكيف ان الاب بركات قد اغراها على هذا التعرض فطلب المحامي للحال توقيف الاب لاشتراكه بالخيانة فسيق الكاهن الى امام القضاة واخبر كيف ان كلارا وقعت عليه ليسعى في التفريق بين الخطيبين فلحظت المحكمة اشتراك الاثنين بالجريمة واوقفتها تحت كفالة قوية وفي الساعة الرابعة من مساء اليوم الثاني جيء بنعش فلورات الى الكنيسة تنقله عربة يجرها اربعة من جياد الخيل الناصعة البياض وتتقدمها عربتان ملآنتان من الازهار ووراءها صف من العربات العديدة تقل الاصدقاء والانسباء

وكانت الكنيسة مجللة بالسواد فاقيمت الصلوة عن نفسها

بخشوع وحزنٍ عظيمين وسير بها بعد ذلك الى المدفن حيث ووريت التراب مبكيًا على صباها وادبها ولطفها

اما ادمون الذي قد اوقعته هذه الفاجعة في مرض عضال ابقاه طريح الفراش فانه يئس من الحياة بعد فقد حبيبته ولذ لديه الموت مع امل التلاقي في عالم الابدية على انه لم يشاء ان يقدم على ذلك قبل الانتقام من كائديه ومسببي هذه الاحزان فارسل الى المحامي لشمان تحريرًا يدعوه فيه الى مواجهته بامر ذي بال ولما حضر هذا اطلعه على تحرير الاب بركات واخبره عن المحادثة التي جرت بينهما وسأله ان يبحث في اوراق فلورات لعله يجد فيها شيئًا يساعد على كشف النقاب عن هذه الدسائس فاخذ المحامي التحرير منه وذهب في الحال الى بيت المستر هورد فاطلعه عليه وطلب منه ان يفتش في اوراق فلورات لعله يعثر على كتابة لها علاقة بالدسيسة ولدى الفحص وجدوا تحرير الاب فتعجب الجميع من امر هذه المكيدة السرية ولم يقدروا ان يعرفوا لها سببًا

﴿ المحاكمة ﴾

لم تكد الناس تتناسى ذكر هذه الحوادث المؤلمة حتى اعلنت المحكمة موعد محاكمة الاب بركات وكلارا فتألبوا في الوقت المعين افواجًا افواجًا ليروا ماذا يكون من امر هذا الكاهن الشرير والمرأة المحتالة وبعد ان شرع بالمحاكمة واتهم

كلٌّ من المدعى عليهما بتداخله في هذه الحوادث المحزنة اخرج المستر لشمان التحريرين من جيبه وطلب من القضاة ان يسألوا الكاهن عما اذا كان هو مرسلهما ولما لم يقدر هذا على انكار خطه وعرف فظاعة الجرم الذي ارتكبه وانه مائت لا محالة خشي ان تبقى كلارا حية بعده وهي التي جرته الى مثل هذه المخاطر فاقر بكل جرائمه وعشقه كلارا واضطراره الى اجابة سؤالها ارضاء لها وهكذا فعلت كلارا بدورها فانها اقرت بتعديها على ادمون وفلورات في الحديقة اتماماً لاشارة حبيبها الكاهن . واذ وجدت المحكمة ان كلاً منهما مجرم وان انتحار فلورات كان مسبباً منهما سوية حكمت على الكاهن وكلارا بالاعدام ولما كان الوقت المعين خرج الناس ينتظرون تنفيذ الحكم وكان من جملتهم شاب انحلته الاسقام مرتد حلة سوداء وعلامات الهموم والاحزان بادية على وجهه وكان مطرقاً الى الارض بهدوء والدمع ينسكب من عينيه مدراراً ولما نفذ القضاء واعدم المجرمان الشقيان عاد الناس الى منازلهم بين معتبر بمصير الاشرار ومتأسف لمرأى ذلك المشهد المريع .

. . . . .

بينما كان حراس المدافن يجولون في صبيحة اليوم الثاني ويتأملون في منازل سكان الابدية نظروا جثة شاب مطروحة بقرب ضريح فلورات فتأملوها فاذا هي جثة ادمون وعلى

صدره ورقة مكتوب عليها

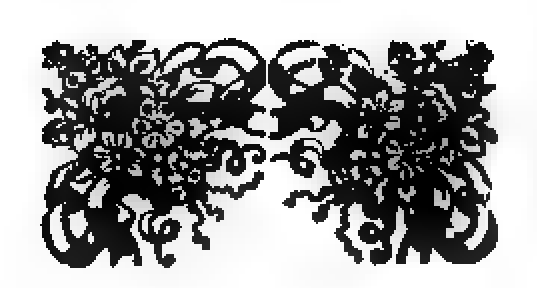
,, اذا كنا قد حرمنا اللقاء في دار الفناء ''

,, فان ارواحنا ستجتمع في ذاك الفضاء ''

فنقلوا الجثة ووضعوها في غرفة مخصوصة واعلموا المستر هورد بالواقع فتأثر هذا كثيرًا وتجددت فيه الاحزان واقام لها مأتمًا حافلاً وامر بان تدفن بقرب ضريح فلورات وان تشاد لهما حجرة فخيمة ويكتب فوقها هكذا

,, ان هذين الملاكين الطاهرين قد ذهبا ''

,, ضحية لمفاسد الاشرار ''





﴿ الوصف الصادق ﴾

افضل السكاير ما حسن منظرها وطابت نكهتها وعذبت لذتها وبلغت كل مكان شهرتها. وقد اجتمعت كل هذه المزايا في سكاير اوساني التي عرف ارباب الذوق بعد اختبار انها خالية مما يسبب السعال والصداع وهي تفوق بالجودة كل ما يصنع من السكاير في العالم

YAK OUSSANI & CO.

60-62 NEW STREET,

New York City

﴿ كولومبوس اكتشف اميركا سنة ١٤٩٢ ﴾

لكن قبل الاكتشاف لم يصادق احد على قوله بانه يوجد اميركا وبعد ان اكتشف اميركا صدقه جميع الناس وشكروه على اكتشافه واخذوا يتقاطرون الى العالم الجديد ونحن عندما اسسنا محلنا سنة ١٨٩١ لم يكن عندنا الا راس مال زهيد ومحل صغير ولنبين حالتنا منـذ التأسيس للان نقول بان ثمن ما بعناه من البضائع بالسنة الاولى هو تسعـة الاف ريال وفي سنة ١٩٠٤ الماضية ٣٥٠ الف ريال اميركاني وهذا ما يبرهن للقارئ الكريم بان الناس عندما عرفوا صدقنا واجتهادنا اقبلوا علينا لمشترى ما يلزمهم من البضائع من كافة الجهـات كما اقبل المهاجرون الى اميركا ونحن باقبال ابناء الوطن العزيز على محلنا قد جعلوه كبيرًا وقادرًا على مشترى البضائع بكميات وافرة وعلى دفع ثمنها نقدًا وبذلك نبيعها باسعار متهاودة لا يمكن لمحل اميركي او سوري بيعها باسعارنا وزيادة على ذلك جودة البضائع وسرعة التقديم ٠ وباقبالهم علينا قد جعلونا ان نفتح بنكاً لبدل الدراهم من اي نوع كانت ونقطع بوالص على اشهر بنوكة العالم ونسلف دراهم تحت رهونات او بامضـاوات مأمونة وكذلك وكلاء شركات مختلفة لقطع اوراق السفر برًا وبحرًا لاي جهة كانت

دانيال يوسف فاعور واخوانه

Daniel J. Faour & Bros.,
63 Washington St., New York City


SSANI'S
GYPTIAN
LOWER


دخان اوساني